المزورون

؟!

الفاروق عمر بان

المزورون

الفاروق عمربان

الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م

الفاروق عمر محمد عبد العظيم

القاهرة جوال 0107492025 (02+)

بريد الكترونى :

alfaroukeg@gmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى الخليفة العادل..

إلى القمة السامقة

إلى عمر بن الخطاب (رضي اللّه عنه)

لعلنا نرى الإنسان كما كان يراه عمر..

و إلى قوافل العاملين....

السالكين إلى طريق رب العالمين ..

فى هذه الرسالة..

.. نقلت إجماع أهل العلم حديثًا وقديمًا، ودون خلاف بين أغلب علماء الشريعة، بأن شهادة الزور والتزوير من كبائر الإثم، وانها تعدل الشرك بالله، وانها من الكبائر التي لا يغفر الله لصاحبها حتى يستوفي أهل الحق حقهم منه ويسامحوه.. وهو ما يستحيل واقعًا في حالة تزوير الانتخابات العامة، وما يترتب على ذلك من مصائب لا يتم إصلاحها ومداواة أثرها؛ فهذا الذي يصلي، ويبر والديه، ويحج ويزكي، ويطيع الله كل طاعة ظاهرة.. وقد وسمه الناس بينهم بالصلاح.. بميزانهم المختل، والذي لا يعرف مقصد الله من العباد ومراد شريعته منهم، ثم هو يتورط في هذه الجريمة.. فقد أهلك نفسه بها وضيّعها.. أيما ضياع؛ فقد ارتكب جريمة هي من أكبر الكبائر؛ فقد أقر العلماء أنها تعدل الشرك بالله.. نعم هذا كلام كبار علماء الشرع، وسترى في هذا البحث بلا مبالغة، فنحن نخشى أن نكذب على الله، وما نعمل برأينا في دين الله.. فانظر إلى هذا المسكين الذي حصّل من الطاعات والقربات من صلاة وزكاة وصدقة.. ثم يهدم هذا كله، وتجعله هباءً منثورًا باقترافه لهذه الكبيرة (شهادة الزور والتزوير) التي يخشى عليه أن ينسف بها كل ما قدم من خير.. والطامة الكبرى عليه انه أغلق باب توبته بيده نعم.. فالله قد يغفر ما في حقه، ولكنه تعالى العدل الذي لا يُظلم عنده أحد ولا يترك حقوق العباد ولا يسامح فيها إلا إذا سامح اهلها { إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [يونس: 44] أي انه سبحانه لا يسامح من اقتطع حقًا من حقوق العباد حتى يرضى العبد،

ويستوفيه ويرده لصاحبه.. فلا تقبل منه توبة، ولا تنفعه شفاعة حتى يستحل منه حقوق العباد الذين ظلمهم بالتزوير.. وأنَّى له ذلك !!

فلقد أغلق -عياذًا بالله- على نفسه باب الرجوع، ونحن لا نتألى على الله؛ فهذا ما نبَّه الله عباده عليه وحذَّرهم منه.. وقدَّم الوعيد والنذير فيه.. فاحذر أيها المسلم أن تتورط في مثل هذه الجريمة: جريمة التزوير التي تغلق باب التوبة، والرجوع إلى الله؛ فأعظم بها من جريمة

واعلم أيضًا أن المزور لن يسلم من عقوبات قاسية أخرى، ومنها أنه حرم نفسه من لقاء النبي صلى الله عليه وسلم في عرصات القيامة؛ ليشرب من يده الشريفة من حوضه صلى الله عليه وسلم؛ فاعلم أيها المزور أن الملائكة ستخبر عنك؛ فيقول لك النبي صلى الله عليه وسلم: سحقًا سحقًا.. ويمنعونك من الاقتراب من النبي صلى الله عليه وسلم والسلام عليه، والشرب من يده، وما أدراك ما الشرب من يده؟! إنها شربة هنيئة لا ظمأ بعدها.. عن سهل بن سعد – رضي الله عنه- ، قال: سمعتُ النبيَّ – صلى الله عليه وسلم- يقول: «أنا فَرَطكم على الحوض، منْ وَرَدَ شربَ، ومن شَرِبَ لم يظمأ أبدًا، وليردنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحَال بيني وبينهم، فأقول: فإنهم منِّي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحقًا سحقًا لمن بدَّلَ بعدي» [متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم]. إن هذه العقوبات كافية في نظري إذا عرفها من أعدَّه الظالمون ليرتكب جريمة التزوير وكفيلة بأن تثنيه عن فعلته، وتردعه عن أن يهلك نفسه.. ويوردها الجحيم والحرمان من رحمة الله..

لا تخف إن كنت مع الله

واعلم أن الأقدار والأرزاق بيد الله، لم يعطها لأحد من عباده، ولم يوكل بها لنبي مرسل أو ملك مقرب.. فهو وحده الرزاق وهو وحده من بيده أعمارنا وأرزاقنا، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها؛ فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاءُ الرزق أن يطلبه بمعصية الله؛ فإن الله لا يُنال ما عنده إلا بطاعته) [أخرجه أبو نعيم في الحلية (27/10)].وهو سبحانه وحده الضار النافع؛ فلا يملك أحد لنفسه ولا لغيره ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فلا يقدر أحد على ضرك إلا بإذنه وتقديره، ولا يقدر على نفعك بغير إرادة من القادر سبحانه وتعالى، فهو المحيط بكل شيء، ويعلم حاضرنا وغيبنا، ويدري سرنا وجهرنا... عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كنتُ خَلْفَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يومًا، فقال لي: يا غلام، إني أُعَلِّمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستَعِنْ بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء؛ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الأقلام، وجَفَّتِ الصُّحف» [رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن صحيح]. فلا تخف إن كنت في كنف الله، واعرضت عن التزوير ومعاونة الظلم؛ لا تخف بطش الظالم؛ فالله تبارك وتعالى هو القيوم على عباده المتحكم بجبروته في قلوب ومصائر العباد، واعلم أنك إن أعرضت عن التزوير وشهادة الزور سيدافع الله عنك { إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ

الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ } [الحج: 38] وقال جل وعلا: { إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ } [الأعراف: 38]. ولا تخش على عملك فالله وحده فقط هو من يرزق.. ولم يعط لأحد من الخلق قدرة على منح أحد ولا على منعه.. ولا تخف على عيالك فالله تبارك وتعالى هو الذي أمرك

إن خفت عليهم أن تعرض عن التزوير {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [النساء: 9].. أي قولاً مسددًا بعيدًا عن الزور والظلم والحيف والجور عن الحق.. فقد قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم - : (ألا لا يمنعن أحدكم هيبةُ الناس أن يقول الحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقرِّب من أجَلٍ، ولا يباعد من رزقٍ أن يقول بحق أو يُذكِّر بعظيم).[رواه أحمد، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم]

مرحبًا بك في نادي أعوان الظلمة...

أيها المزور المسكين.. يا من بعت آخرتك ودينك بدنيا غيرك.. أرحّب بك عضوًا عاملاً في نادي أعوان الظلمة، ومقره الرئيس 1 ش قعر جهنم.. عضوية دائمة بلا تجديد.. بالإضافة إلى أن المزور أصبح من أعوان الظلمة الذين يُحشرون مع من أعانوا على ظلم العباد في الدنيا، ويحاسبون على كل مظلمة، ولا يفلتون من دعاء من ظلموهم.. وتكفي حسبنا الله ونعم الوكيل..

وقد أقر العلماء أن من فعل ذلك فهو من الظالمين أنفسهم؛ فعندما عجز الظالمون عن فعل هذا بأنفسهم، فعله هو أو بدلاً منهم، فناله الإثم، وأصبح ظالمًا مثلهم، والفرق بينه وبينهم أنه باع آخرته بدنيا غيره.. وقد لا يدري من يزور هذا الأثر الكارثي الذي يلحق بالناس وحياتهم ودينهم جراء هذا الفعل، ومرتكب هذه الجريمة لا يدري أنه بالتزوير يمكن الظالمين من رقاب الناس فيستزلوهم ويستعبدوهم، ويريقوا دمهم، ويجلدوا ظهورهم، ويسرقوا ثرواتهم، ويبددوا أحلامهم ويصادروا مستقبلهم..

لا تتعجب! نعم التزوير يفعل ذلك وأكثر، أليس يولّي ظالمًا وغير كفء ليقوم بتشريع وسن القوانين التي تحكم حياة الناس وتحميهم، ولقد رأيت نماذج ممن دخلوا هذه الأماكن زورًا (بالتزوير) فسنُّوا قوانين لتكميم أفواه الناس، واستمرار حالة الطوارئ سيئة السمعة التي صادرت كافة حريات الخلق، وسنوا قوانين لتحمي الفاسدين.

وكان مما سنوا أيضًا تشريعات تشرّد عمال المصانع، وتجوعهم وتضيع حقوقهم وأهليهم؛ لمصلحة أصحاب رءوس الأموال المتغولة.. فمكنوا الفاسدين من إدارة البلاد، وإضاعة مستقبلها..

ألم يفرز التزوير أناسًا سرقوا أموال الشعب ونهبوها، وسافروا بها للخارج، ألم يفرز التزوير أناسًا احتكروا السلع والاقتصاد ورءوس الأموال، ألم يغيّر التزوير ملكية الدولة العامة؛ فآلت إلى عصبية استبدَّت بالناس، وحكمتهم بالنار والحديد.. ألا ترى هذا كافيًا؟!

وناهيك عن كوارث كبرى يراها كل الناس ولا يخفى أثرها على قريب أو بعيد..

إلى كل من آمن بأن الإنسان حر:

هذه الرسالة.. أرسلها إلى كل مؤمن بأن الناس خلقهم الله تبارك وتعالي أحرارًا كرماء.. وإلى كل مؤمن بأن الله أمر كل من استعبد لغير الله أن يحرر نفسه.. من كل أشكال العبودية لغيره.. وإلى كل مؤمن بأن هذا الواقع المر الذي نعيشه.. بحكم سنن الله بكونه أن الظلم لا يدوم، وأن التدافع بين الفساد والصلاح والحق والباطل، وصراعهما سيطول حسب حكمة الله وإرادته.. وحسبنا أن نأخذ بالأسباب لدفعه، ونعمل دائمًا على رفعه.. و أن الله لا يضيع أجر العاملين على إزالة الظلم.. ويرى عملهم ويعلم مكانهم وحالهم ومدى إخلاصهم لما يسعون وتجردهم عن المصلحة والهوى.. ولا يدافع عن الذين يتكاسلون.. ولا يهدي إلى الطريق الصحيح إلا من طلب ذلك وجاهد فيه..

ألم يقل الله تبارك وتعالى في الإجابة على من سألوا من يستحق أن يهدي إلى الطريق الصحيح.. فأجابهم { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } [العنكبوت: 69]، وإن السبل الموصلة لرضا الله وطرق الحق لا يملك غيره تعالي مفاتيحها.. وقد اشترط أن تجاهد وتطلبها فتُهدى إليها.. كما اشترط أنه لن يغيّر هذا الحال البائس الذي حاق بهم من خراب ودمار حتى يأخذوا بزمام المبادئة، ويغيّروا ما بأنفسم ويتحركوا نحو تحرير ها.. لا بأن ينعزلوا عن مجتمعهم ويقولون نحن نصلح أنفسنا أولاً؛ فقد كذبوا ودلّسوا وبرروا جبنهم وتكاسلهم، والحق الواجب على الجميع ألا يتكاسلوا ولا يتجاهلوا هذا النضال وهذا الجهاد، ولا يقللوا من جهد أحد، ولا يستخفون ببذله إن كان على غير طريقتهم،

ولا على غير هواهم، طالما كان المقصد سويًا واضحًا؛ فقد يخطئ المخلص طريقه؛ فلا تخوز في حقه سوى النصيحة، ومعاونته ليقوم من كبوته.. وكل واحد له وعليه، والعصمة لله ورسوله، ولا تُدَّعى لغيرهم..

لكن على الجميع العمل من أجل إزالة عدو واحد وهو الظلم؛ فالظلم عدو الجميع، ومحاربة أهم مظاهره وأسبابه واجبة على الجميع.. فالحرية والإصلاح وإن طال انتظارهما وكثرت صعاب هذا الطريق وآلامه.. فإنه لا محالة سيكون.. { إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ❖ وَنَرَاهُ قَرِيبًا } {المعارج: 6- 7}.

لا فجر بلا مخاض.. ولا مخاض.. بلا آلام وجراح.. فقدِّم ما تملك من جهد، وادعم غيرك في جهده، وقف مع كل من يقاوم الفساد والاستبداد من أجل تحرير الإنسان الذي هو مقصد الشريعة وهدف الدين.. وكن على يقين أن النصر قريب قريب.

واهتف في أذن كل يائس وبائس.. ها هي رواحل النضال قد أعدت عدتها وأخذت أهبتها.. ومضت في طريقها.. وأوشكت أن تصل.. فالحق بهم.. وضم جهدك إلى جهدهم.. وإلا فمع المتفرجين مكانك ومع المتحسرين شأنك.. واعلم أن صمتك جريمة وشهادة زور.. ويأسك موت وسكنى للقبور..

شهادة الزور والتزوير:

لن أسهب في التعريفات والترجمات، لكني بحكم البحث سأمر مرور الكرام عليها: الشهادة: هي الإخبار بصحة الشيء عن مشاهدة وعيان.. مشتقة من المشاهدة. الزور: هو الميل عن الحق

الثابت إلى الباطل الذي لا حقيقة له.. قولاً وفعلاً .. مثال ذلك قوله تعالى: { وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ } [المجادلة: 2]، ومنه ما يُطلق على العمل، كما ثبت عَنْ أَسْمَاءَ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي ضَرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي بِغَيْرِ الَّذِي يُعْطِينِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ). [متفق عليه].

قال القرطبي: شهادة الزور هي الشهادة بالكذب ليُتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس، أو أخذ مال، أو تحليل حرام، أو تحريم حلال؛ فلا شيء من الكبائر أعظم ضررًا منها، ولا أكثر فسادًا بعد الشرك بالله. [انظر فتح الباري 497/10].

وقيل هي أن يشهد الإنسان أمام حاكم أو نحوه بغير ما علم، ويتحرى الباطل ويكذب. [انظر صحيح وصايا الرسول: سعد يوسف أبو عزيز 122/3].

وقيل شهادة الزور هي ليس فقط تغيير الشهادة عندما يدلي بها أمام القاضي أو بين حكَمين أوخصمين؛ فهذا هو المشهور من أمرها، ولكن شهادة الزور تعني (رؤية الزور) شهد يشهد شهودًا أو شهادة، فشهادة الزور هنا تكون بمعنى رؤية الزور والسكوت عنه، أو الرضا به أو الغفلة، أو التناسي أو الترك، وهذا من الأشكال والصور التي نعرفها، ولا نعدها في شهادة الزور، وهو أكثر من ذلك ويضيق بهم التعريف، أو تكون شهادة الزور بمعنى رؤية الأمر، ثم الإدلاء به على غير وجهه؛ تضليلاً للقاضي، أو ظلمًا لأحد المتخاصمين. [انظر: روضة الدعاة الربانية: تأليف مجموعة من علماء الأزهر الشريف ص360].

فشاهد الزور كاذب فيما يقول ويخبر، وهو متعمد لذلك وينطق بخلاف الحقيقة والواقع.

1- قول الزور: وهو التلفظ بما تؤول إلى شهادة الزور.

2- عمل الزور: وهو أعم من شهادة الزور؛ لأنه يعم كل باطل من شهادة أو غيبة أو بهت أو كذب على الله تعالى أو على خلقه.

وهو الحضور والمشاركة في مجالس الباطل بأنواعها، فإن ذلك هو المعنى الآخر لشهادة الزور.

أما المؤمنون عباد الرحمن؛ فقد بيَّن الله عز وجل صفاتهم؛ فقال تبارك وتعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان: 72] قال ابن كثير رحمه الله: أي لا يحضرون الزور وإذا اتفق مرورهم به؛ مروا ولم يتدنسوا منه بشيء. ثم ذكر ما رواه ابن أبي حاتم بسنده عن ابن مسعود - رضي الله عنه- أنه مرّ بلهوٍ؛ فلم يقف، فقال رسول الله - صلى الله عليه سلم- لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريمًا متأولاً الآية:

{ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا }.

وقد جاء في تفسير قوله تعالى: { وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ } أن بعض المفسرين قال: الزور هو الشرك، ومنهم من قال هو الكذب، والحق أنها كلها تدخل في هذا النص؛ لأنها كلها من أنواع الباطل الذي يزينه ويزوّره أهله..

التـــــــــــــــزوير:

التزوير: هو المرادف لشهادة الزور شكلاً وموضوعًا غير أنه قد يعبر ذلك المعنى الصغير ويتجاوزه للأثر الذي يخلفه هذا الفعل.

التزوير.. هي تلك العملية الكبرى المدبرة مسبقًا، المعلومة الهدف والقصد، والتى يتم بها تبديل الحقيقة وتغييرها، ونقلها من دائرة إلى دائرة سواءً قام المزورون بنقل هذا الحق إثباتًا لغيره أو نفيًا عن صاحبه.

ولا تعنينا في هذا البحث تلك التدقيقات اللغوية ما استبان المعنى وظهر، وذلك يأتي بذكر أهم مثال للتزوير وهو موضوع البحث:

تزوير الإنتخابات العامة

وحالات الإقتراع الشعبية بأنواعها

وهى التى يشترك فيها المجتمع بشهادته بأفراده عبر صندوق للاقتراع أو عبر أي وسيلة مستحدَثة تقوم بنفس الدور وتُقاس عليه .

والتزوير في هذا الشأن يمكن تعريفه بأنه تغيير وتزييف يطال جميع مراحل الإنتخاب والإقتراع، من بداية تحديد من ترشح حتى نهاية العملية والإعلان عن النتائج المترتبة على فرز شهادات الشاهدين (أصوات الناخبين)، ومرورًا بحيثيات العملية وتفاصيلها.

ومجمل القول: أن كل تلاعب بفعل صغير أو كبير في مكونات عملية الانتخاب كشهادة يترتب عليها معنى التزوير من مخالفة الحقيقة؛ فهو تزوير وشهادة زور، ويسري عليها ما أوردت من أحكام للشرع فيها..

وتبديل الحقائق بنقص أو زيادة، أو تبديل، أو تحريف، أو تغيير شهادات العامة وآرائهم بشأن موضوع وقضية الاقتراع والشهادة ليؤول حقّ أحد المرشحين إلى غيره، وليثبت إلى غير صاحبه ودون وجه حق.. هو من التزوير.

- وأرحب بأي نقد أو رد لهذه التعريفات؛ على أن نتفق على أن كل فعل مقصود أدى إلى أن يؤول حق شخص إلى غيره، وأن ينتزع حقّ من صاحبه في شكل اقتراع، وما شابهه؛ فهو تزوير وتزييف وتغيير لإرادة صاحب الشهادة.

ومن المهم هنا أن نذكر محل اتفاق العلماء على أن كل تزوير في أي شهادة هي شهادة زور بالقياس إجماعًا، والعبرة بالمسميات لا بالأسماء، وإن التزوير هو قمة جريمة شهادة الزور ومنتهاها وجماع شرها.

وسيأتي بيان لعناصر شهادة الزور، وصور وأشكال اقترافها في حالة الانتخابات والتزوير.

ستُكتَب شهادتهم ويُسألون:

اعلم يا من تشترك في هذه الجريمة أن رقابة الله تعلوك، ويعلم سرك وجهرك.. وأن الملكين الموكلين بك (رقيب وعتيد) يعدون عليك أنفاسك وأعمالك وما اقترفت.. ويسطرون في صفحتك هذه الجريمة.. لا يكتبوها لتنسى في أدراج المحاكم؛ مجاملة ممن جاملْتهم وزوَّرت لهم.. بل تُكتب لتتطاير الصحف يوم القيامة في هول وعذاب الانتظار للحساب.. ثم تقرأ ما سطَّرت بيدك.. كتبت لتقرأ على رءوس الأشهاد أي من يشهدون هذه الوقفة؛ فجميع الخلائق سيخبرون بما قمت من تزوير، نعم من تلك الصحيفة التي سطرها عليك الملك، وستُقرأ أمام جميع الخلائق وينادي بك وتسأل عنها (يا فلان بن فلان.. نسالك عن هذه الشهادة الزور؟! نسالك عن هذا التزوير؟! نسالك عما كُتب عليك في صحيفتك؟!...).

ولتعلم أن رسول الله قال: (مَن نُوقِش الحساب: عُذِّب) [متفق عليه].

.. فهل تقدر أن تزوِّر بعيدًا عن الملائكة.. فهل تقدر أن تزور في مكان لا يراك الله فيه؟!! ولتسمع هذا القانون.. الأمر مرهون بمعرفة المزور أن هناك حسابًا.. وجزاء.. وعقابًا.. وجنة.. ونارًا.. وربًا محاسبًا.. والعبد موقوف بين يدي ربه ليحاسبه عما قدم.. وعن غدراته وسوء فعاله بحقوق العباد..

وأكرر هذه الأدلة لعل المزور يرجع.. اسمع إلى قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان: 72]، وقال الله تعالى: { وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ } [الحج: 30].

قال الإمام القرطبي مفسرًا هذه الآية: واجتنبوا قول الزور، والزور الباطل الكذب، وسُمي زورًا؛ لأنه أميل عن الحق، وكل ما عدا الحق فهو كذب وزور وباطل، ثم قال - رحمه الله- : هذه الآية تضمنت الوعيد على الشهادة بالزور، وينبغي للحاكم إذا عثر على الشاهد بالزور أن يعزره وينادي عليه ليُعرَف؛ لئلا يغتر بشهادته أحد. وقال تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: 8]. وقال سبحانه وتعالى: { وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } [البقرة: 283]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (شاهد الزور لا تزول قدماه حتى تجب له النار).[رواه الحاكم (7042) وقال : صحيح الإسناد]. وقال المصنف رحمه الله تعالى: شاهد الزور ارتكب عظائم: أحدها الكذب والافتراء. وقال الله تعالى: {إِنَّ اللهَ لاَ يَهدِي مَن هُوَ مُسرف كَذَّابٌ}. وفي الحديث (يُطبع المؤمن على كل خُلة غير الخيانة والكذب) [أخرجه البزار (1139) وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح]. وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : «إنما أنا بَشَر، وإنكم تختصمون إليَّ، ولَعَلَّ بعضكم أن يكونَ أَلْحَنَ بحُجَّتِهِ مِن بعض؛ فاقضي نحو ما أسمع، فمن قضيتُ له من حقِّ أخيه شيئًا؛ فلا يأخذه، فإنما أَقْطَعُ له قطعة من النَّار».[متفق عليه].

هل تعلم.. أن شهادة الزور (1) تعدل الشرك بالله:

نعم عدلت شهادة الزور الشرك بالله

و في الحديث: " من لم يدع قول الزور و العمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه و شرابه ". رواه البخاري ، و قال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – : تعدل شهادة الزور الشرك بالله وقرا(:فاجتنبوا الرجس من الأوثان و اجتنبوا قول الزور). و عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن قال : قدم رجل من العراق على عمر بن الخطاب – رضي الله عنه فقال : جئتك لأمر ماله رأس ولا ذنب (ذيل) فقال عمر : و ما ذاك ؟ قال : شهادة الزور ظهرت بأرضنا ، قال : و قد كان ذلك ؟ قال : نعم ، فقال عمر بن الخطاب : و الله لا يؤسر (لا يحبس) رجل في الإسلام بغير العدول . فشهادة الزور نوع خطير من الكذب ، شديد القبح سيئ الأثر ، يتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس أو أخذ مال أو تحليل حرام أو تحريم حلال ، و قد حكى البعض الإجماع على أن شهادة الزور كبيرة من الكبائر. ولا فرق بين أن يكون المشهود به قليلاً أو كثيراً فضلاً عن هذه المفسدة القبيحة الشنيعة جداً ، ولا يحل قبولها و بناء الأحكام عليها و لذلك قالوا : فتوى المفتي و حكم الحاكم و قضاء القاضي لا تجعل الحرام حلالاً ولا الحلال حراماً ، و القاضي إنما يحكم على نحو ما يسمع ، فمن قضي له بحق أخيه فلا يأخذه ، إنما قضي له بقطعة من النار يترتب عليها سخط الجبار ، و الأمور كلها على ما عند الله، وعند الله يجتمع الخصوم: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) (الانبياء:47).قال الشيخ العز بن عبد

السلام: إذا أردت معرفة الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها، فإذا نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر، وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو ربت عليه فهي من الكبائر. فشتم الرب- سبحانه - ، أو الرسول- صلى الله عليه وسلم- أو الاستهانة بالرسل، أو تكذيب أحد منهم، أو إلقاء المصحف في القاذورات، هي من أكبر الكبائر، ولم يصرح الشرع بأنه كبيرة، وكذلك لو دلَّ الكفار على عورات المسلمين، ولو كذب على إنسان كذبًا يعلم أنه يقتل بسببه فهي كبيرة، والحكم بغير الحق كبيرة، فإن شاهد الزور متسبب والحاكم مباشر، فإذا جعل السبب كبيرة؛ فالمباشرة أولى. وقال ابن عبد السلام أيضًا: لم أقف لأحد من العلماء على ضابط للكبيرة لا يسلم من الاعتراض، والأولى ضبطها بما يشعر بتهاون مرتكبها بدينه إشعارًا دون الكبائر المنصوص عليها. وقال أبو الحسن الواحدي المفسر: الصحيح أن حد الكبيرة غير معروف، بل ورد الشرع بوصف أنواع من المعاصي بأنها كبائر، وأنواع بأنها صغائر، وأنواع لم توصف، وهي مشتملة على صغائر وكبائر، والحكمة في عدم بيانها أن يكون العبد ممتنعًا من جميعها مخافة أن تكون من الكبائر كإخفاء ليلة القدر، وساعة الجمعة، واسم الله الأعظم. والله أعلم. وقال الشيخ الشنقيطي: والأظهر عندي في ضابط الكبيرة أنها كل ذنب اقترن بما يدل على أنه أعظم من مطلق المعصية، سواء كان ذلك الوعيد عليه بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب، أو كان وجوب الحد فيه، أو غير ذلك مما يدل على تغليظ التحريم وتوكيده، مع أن بعض أهل العلم قال: إن كل ذنب كبيرة. فشهادة الزور نوع خطير من الكذب، شديد القبح سيئ الأثر، يتوصل بها إلى الباطل من إتلاف

سيئ الأثر، يتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس، أو أخذ مال، أو تحليل حرام، أو تحريم حلال، وقد حكى البعض الإجماع على أن شهادة الزور كبيرة من الكبائر.

هل تعلم.. أن شهادة الزور: (2) كبيرة من الكبائر :

لا يعقل أن أحرض أحدا على أن يقدم على معصية أو يقترف اثما فى حق الخالق سبحانه وتعالي - معاذ الله ، لكن يعلم الجميع أن من يقترف اثما عظيما كشرب الخمر و كالإفطار فى نهار رمضان وهى من كبائر الآثم لكن قد يغفر الله لصاحبها ، ولكن ما كان من تزوير وشهادة زور نالت من حق العباد فلا يتأتى التوبة منها الا بمسامحة العباد وعفوهم عن حقوقهم ، ذلك أن الله قضي ذلك على نفسه انه لن يقوم أحد بانتزاع حق أحد من عباد الله الا اقتص الله للمظلوم من الظالم وشهادة الزور ليست ذنبا تفعله وتذهب مخلفا حسرة فى صدرك منها ، لكن شهادة الزور ذنب حوى جريمة من كبائر الآثام التى لايعفو الله عن صاحبها إلا بعفو من له الحق . فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال قال عليه الصلاة والسلام: "الا أنبؤكم بأكبر الكبائر؟ قلنا بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال: الا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما يزال يقولها حتى قلنا: ليته يَسكت" رواه البخاري وغيره.

هل تعلم.. أن شهادة الزور: (3) من علامات الساعة:

كثيرًا ما يقع في قلبي عند سماع علامات الساعة ذلك الصخب والدوي الذي يتمثل في شيخ جليل يصول على منبره الكريم بصرخات عن هذه الأحوال والأهوال ويتأثر قلبي هذا

التأثير السلبي اللحظي، ولا أجد نفسي قد انتبهت لتكليف أو أمر أو نهي أو واجب أقوم به بعد هذا الإحساس، وأؤكد أن هذا من نفسي وشيطاني، وقد يرجع أيضًا إلى أسلوب البعض في تناوله للموضوع.. لكنى أذكر هنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة إلا على شِرارِ الخلق ، هم شر من أهل الجاهلية..) [رواه مسلم 1924] . وهذا الحديث خطير.. ويتجلى خطره عندما يذكر زماننا وقد حوى بعض علاماتها.. فيقع في نفسي ما ينبئ عن حالنا مع الله، وهو أننا نوشك أن نكون من شرار الخلق أو أقرب إليهم (اتهامًا لنفسي أولاً) وأسأل الله العفو والعافية للجميع في الدين و الدينا.. ولعل ارتباط هذا بشهادة الزور هو ما أقره الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن بين يدى الساعة تسليم الخاصة، وفشو التجارة ... وقطع الأرحام، وظهور شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق..). [أخرجه أحمد (3870) وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح]. وهذه من العلامات التي تكون بين يدي الساعة، وقد وقعت الآن بمثل ما أخبر الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، فقد كثرت شهادة الزور وقلت الشهادة لإظهار الحق وكُتمت. وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال :«بادروا بالأعمال فِتنًا كَقِطَع الليْلِ المظلم، يُصبحُ الرجلُ مؤمِنًا، ويُمْسِي كافِرًا، ويُمسِي مُؤمِنًا ويُصبِحُ كافِرًا؛ يَبيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ من الدُّنيا» [أخرجه مسلم 76/1].

واسمع لقول حسان وهو يعظ الناس ويخطبهم: (لقد جاء دين الإسلام وفي أبرز مقاصده إقامة العدل وتأسيسه، ومنع الظلم بشتى صوره وأشكاله؛ فالقسط والعدل هو غاية الرسالة

المحمدية، بل الرسالات كلها {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}.

عدلٌ ينظم ميادين الحياة كلها، ويعم حق الخالق والمخلوق جميعها، ويشمل الأفعال والأقوال والتصرفات بشتى اشكالها. عدلٌ في كل ميدان وقسط مع كل إنسان {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}، وإن دين الإسلام وهو يقرر مبادئ الحق ويصوغ قواعد الإصلاح، ويؤسس مناهج الخير فهو الدين الذي يكفل لهذه المبادئ الخيِّرة والمناهج الإصلاحية طرقًا توصل إليها، ووسائل تضمن سلامتها مما يُخل بها، أو يناقض أغراضها ويهدد مقصدها. وإن من ابرز أسباب إقامة العدل وأظهر ركائز القسط: القيام بالشهادة، ومعرفة أهميتها، ودورها في المجتمع، ومراعاة حقها والواجب نحوها. الشهادة معيار لتميز الحق عن الباطل، وحاجز يفصل الدعاوى الصادقة من الكاذبة، قال بعضهم: الشهادة بمنزلة الروح للحقوق؛ فالله أحيا النفوس بالأرواح الطاهرة، وأحيا الحقوق بالشهادة الصادقة. والشهادة ضرورة لقيام الحياة الاجتماعية، وما يخالطها من أحداث ويصحبها من وقائع مادية وتصرفات إرادية ومعاملات وعلاقات عائلية. قال شريح– رحمه الله – : (الحكم داءٌ، والشهادة شفاءٌ؛ فأفرغ الشفاء على الداء).

- هل تعلم.. أنك بشهادة الزور : (4) أغلقت بيدك باب توبتك

فضائل الأعمال لا تكفّر حقوق العباد، هذا ما قررته الأدلة وأقره الفقهاء عبر الزمان.. لقد استفتى أحد الناس لجنة الفتوى سائلاً: سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه)، هل يدخل في ذلك الذنوب التي ارتكبها المرء متعمدًا في حق إخوانه المسلمين، وندم عليها أشد الندم، ولكنه لا يستطيع أن يعترف لهم بما فعله معهم لأن ذلك سيؤدي إلى الكثير من المشاكل؟

فأجابت اللجنة على سؤاله بما يلي: الحمد لله .. مكفرات الذنوب كثيرة، منها: التوبة والاستغفار، والقيام بالطاعات، وإقامة الحدود على من فعل ما يوجب حدًا، وغير ذلك.

وفضائل الأعمال كالصلاة الصيام والحج وغيرها لا تكفّر إلا الصغائر عند جمهور أهل العلم، وتكفر حقوق الله فقط. أما المعاصي المتعلقة بحقوق العباد فإنها لا تُكفّر إلا بالتوبة منها، ومن شروط التوبة منها: رَدُّ المظالم إلى أهلها. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إلا الدَّيْنَ) [رواه مسلم (1886)].

قال النووي في شرح مسلم: (وَأَمَّا قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إلا الدَّيْن) فَفِيهِ تَنْبِيه عَلَى جَمِيع حُقُوق الآدَمِيِّينَ، وَأَنَّ الْجِهَاد وَالشَّهَادَة وَغَيْرهمَا مِنْ أَعْمَال الْبِرّ لا يُكَفِّر حُقُوق الآدَمِيِّينَ، وَإِنَّمَا يُكَفِّر حُقُوق اللَّه تَعَالَى) انتهى.

وقال ابن مفلح في الفروع (6/193): (وتكفر الشهادة غيرَ الدين. قال شيخنا - يعني شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله- : وغير مظالم العباد كقتل وظلم) انتهى. وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية (14/129): "التوبة بمعنى الندم على ما مضى، والعزم على عدم العود لمثله؛ لا تكفي لإسقاط حق من حقوق العباد، فمن سرق مال أحد، أو غصبه، أو أساء إليه بطريقة أو بأخرى؛ لا يتخلص من المسائلة بمجرد الندم، والإقلاع عن الذنب والعزم على عدم العود، بل لا بد من رد المظالم، وهذا الأصل متفق عليه بين الفقهاء" انتهى. هذا فيما يتعلق بالحقوق المادية كالمال المأخوذ غصبًا أو باحتيال، أما الحقوق المعنوية كالقذف والغيبة؛ فإن كان المظلوم قد علم بالظلم فلا بد من الاعتذار إليه، وطلب المسامحة، وإن لم يكن علم بذلك؛ فإنه لا يُعْلِمُه، بل يدعو ويستغفر له؛ لأن إخباره بذلك قد يسبب نفورًا ويوقع بينهما العداوة والبغضاء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وفي الحديث الصحيح: عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم- : «مَنْ كانت عنده مظلِمَة لأخيه، مِنْ عِرضِهِ أو شيء منه؛ فلْيَتَحلَّلْهُ منه اليومَ، من قبلِ أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مَظلِمتِهِ، وإن لم يكن له حسنات أُخِذَ من سيئات صاحبه، فَحمِل عليه» أخرجه البخاري. وهذا فيما علمه المظلوم، فأما إذا اغتابه أو قذفه، ولم يعلم بذلك؛ فقد قيل: من شرط توبته إعلامه. وقيل: لا يُشترط ذلك، وهذا قول الأكثرين وهما روايتان عن أحمد. لكن قوله (في) مثل هذا أن يفعل مع المظلوم حسنات كالدعاء له والاستغفار وعمل

صالح يُهدى إليه يقوم مقام اغتيابه وقذفه. قال الحسن البصري: كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته" انتهى. [مجموع الفتاوى (189/18)].

- هل تعلم.. أن شهادة الزور (5) ظلم وإجرام وإفساد وهدم للمجتمع:

لو يعلم المزور أنه بشهادة الزور والتزوير الذي قام به قد أفسد دينه وأخلاقه ، وهدم نفسه ، وخرج على المجتمع ، ووقف ضده وضد أمانه وطمئنينته ، نعم لقد أفسد حياة الناس بعد أن أضاع الأمانة ، بما اقترف من جرم التزوير وتزييف الحقائق وتبديلها ، نعم ضيع الأمانة .. فقد سيد الحقير وحقر السيد وخون الأمين وأمن الخائن .. فضاعت بجرمه الأمانة وضيعت، وكيف يستقسم أمر المجتمع بعد فقدان الثقة وشيوع الخيانة والكذب والتزوير ، فقد أصاب الناس بياس تبعه إنهيار كامل لكافة أركانه التى قامت على العدل والأمان ، ولا يستقر لمجتمع عدلاً وأماناً حتى تنتهى وتختفى منه شهادة الزور والتزوير بكافة أشكاله وصوره .. وما أن تظهر بمجتمع هذه الجرائم و تتسلط عليه إلا أهلكته وأفنته بشؤم جرائم هى من كبائر الاثام وعظائم الذنوب .

،و الكذب في الشهادة هو زور.. بل يتوصل بها إلى باطل، وهذا الباطل إما إتلاف نفس أو أخذ مال أو تحليل حرام او تحريم حلال، إذا فلا شيء من الكبائر أعظم ضررا حقيقة من الزور، ولا فسادا بعد الشرك بالله من هذا الأمر . ولذلك هو نوع خطير جدا هو نوع من الكذب قبيح؛ لأنه يتوسل به إلى الباطل، وظلم الناس وبخس حقوق الناس . وكثيرة هي الآيات القرآنية التي تحذر من قول الزور ليس فقط في آية سورة الفرقان.. بل في سورة الحج } وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ

{ويقول أيضا في سورة المجادلة } وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً {ويقول أيضا في سورة الإسراء } :وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً .{ ابن الحنفي يقول في قوله } :وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ {قال: هي شهادة الزور ، الله تعالى } :مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ { ولاحظ قول هنا نكرة أي قول ما يلفظ الإنسان منا قول إلا لديه رقيب عتيد، يكتب الصغيرة، والكبيرة.. النبي - صلى الله عليه وسلم- لما ذكر الكبائر، وسئل عن الكبائر ..الشرك بالله.. قتل النفس.. عقوق الوالدين.. ثم قال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قال: قول الزور.. أو قال: شهادة الزور . وفي الحديث الآخر المشهور لما قال :ألا أنبئكم بأكبر الكبائر) ثلاثا)؟ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا :قلنا: بلى يا رسول الله.. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان جالسا متكئا فقام واعتدل في جلسته - صلى الله عليه وسلم- وقال: ألا وقول الزور ..ألا وقول الزور.. ألا وقول الزور.. قال: فما زال يرددها حتى قلنا ليته سكت "

- هل تعلم.. أن شهادة الزور

(6) ستحرمك شربة من يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:

تعال معي نتأمل هذا المشهد عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم – قال: (بينا أنا قائم، فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم؛ خرج رجل من بيني وبينهم، قال: هلم، قلت:

إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم) رواه البخاري . أي العدد اليسير من الخلق. قال الحافظ في الفتح: "قوله: فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم، يعني: من هؤلاء الذين دنوا من الحوض، وكادوا يَرِدُونه، فصُدُّوا عنه، والهمل بفتحتين الإبل بلا راعٍ،... والمعنى: أنه لا يرده منهم إلا القليل؛ لأن الهمل في الإبل قليل بالنسبة لغيره". وواضح أن القلة هنا نسبية، أي: أن نسبة من يرد الحوض كبيرة لكن الذين يُطرَدون أكبر من الذين يشربون. ترى ما سبب ردهم عن حوض محمد صلى الله عليه وسلم الذي يشتاق إلى رؤيته واستقباله عند الحوض؟! إنهم بدّلوا بعده وزوّرا وتعدّوا على حقوق العباد، وضيعوها لغيرهم فباعوا آخرتهم وشربة من يد محمد صلى الله عليه وسلم بأخسّ الأثمان.. وخسروا.. حيث رُدُّوا عن الحوض.. حوض محمد صلى الله عليه وسلم في يوم حر وزحام، ولا يدري الناس إلى أي طريق يذهبون.. وفي هذا الموقف الرهيب الذي ترتعد له أركان النفس..؛ تطردك الملائكة ويخطفونك أيها المزور قبل أن تصل إلى الحوض ويرحب بك النبي.. ليسأل عنك.. لماذا تردوه وهو من أمتي.. فيجيبون النبيَّ ويعلمونه بسوء فعلك وجرمك؛ فيلتفت النبي لفوج آخر وتطوى أيها المسكين.. لتلقى ما أعده الله لك من عقاب. ولا حول ولا قوة إلا بالله..

(المزورون هم الظلمة)

لست من أعوان الظلمة:

بهذه العبارات الرقيقة التي خرجت من الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله– إلى حارس زنزانته حين سأله يا إمام هل أنا من أعوان الظلمة؟! فبشره الإمام للحظة مجيبًا أنت !! لست من أعوان الظلمة !! إن أعوان الظلمة من يخيط لك ثوبك، ويملأ لك كوب شربك، وفاجأه فقال: (بل أنت أيها الحارس من الظلمة). قد يظن البعض ممن ينالهم هذا الشر.. وهو خدمة المفسدين الظالمين أنهم في أمان من عقاب الله الذي يؤمنون أنه نازل بهم.. وأنهم كأعوان للظلمة ليس لهم نصيب في هذا الظلم؛ فهم من نفّذوه وفقط.. !! فقط !!

واعجباه أيها المعين للظالم !! واعجباه أيها المزورون !! واعجباه.. يحتاج الأمر إلى من ينفذه فقط !! وماذا تبقى للظالم غير استصدار الأمر للمعين !! ولن يتم الأمر من تزوير وظلم إلا بك !! نعم.. ستجادل القول وتكرر: إن لم أفعل بنفسي فهناك جيش ينتظر خدمة الظلم والظالمين !! وبالمجان.. نعم لكنك تبوء بالإثم وتقترف الجريمة؛ فصرت أنت الظالم، فمحمد صلى الله عليه وسلم يقول: (من أعان ظالمًا فقد ظلم)، هل تصدّق محمدًا صلى الله عليه وسلم؟!

وستلقى في جهنم وقد خسرت الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.. وقد نجا جيش المنتظرين وهلكت أنت.. وأنت ستُسأل عن نفسك التي ضيعتها واخترت مصيرها بنفسك..

وإن فعلها جيش المنتظرين لخدمة الظالمين.. فقد هلكوا ونجوت، وذلك هو الفوز العظيم.. وتعال لنعرف المزيد عن أعوان الظلمة، وهل المزورون منهم أم لا؟

روي عن سفيان الثوري أن جاءه رجل خياط فقال:- إني رجل اخيط ثياب السلطان، هل انا من أعوان الظلمة؟! فقال سفيان: بل أنت من الظلمة انفسهم، ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيوط !!!

الله أكبر... الله أكبر، لله درك يا سفيان، ماذا تقول فيمن يطلق الرصاص بسلاحه، ويحبس ويعتقل ويهين ويعذب .. ماذا تقول فيمن يضرب المسلمين بالسياط، هل يكفي أن نقول إنهم ظلمة؟! كلا والله، بل نقول ما قاله ابن عمر رضي الله عنهما قال: الجلاوزة والشرط كلاب النار يوم القيامة. (الجلاوزة: الجلادون والمعذبون للخلق).

وقد ورد أكثر من ذلك.. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد قال غير واحد من السلف: أعوان الظلمة من أعانهم، ولو أنه ملأ لهم دواة أو برى لهم قلمًا، ومنهم من كان يقول: بل من يغسل ثيابهم من أعوانهم، وأعوانهم هم من أزواجهم المذكورين في الآية؛ فإن المعين على البر والتقوى من أهل ذلك، والمعين على الإثم والعدوان من أهل ذلك قال تعالى: { مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا } [النساء: 85]. والشافع الذى يعين غيره فيصير معه شفعًا بعد أن كان فردًا، ولهذا فسرت الشفاعة الحسنة بإعانة المؤمنين على الإصلاح، والشفاعة السيئة بإعانة الظالمين على قتال المؤمنين، كما ذكر ذلك ابن جرير وغيره. انتهى.

التحذير من مناصرة الباطل، ومعاداة المصلحين:

إن أشكال مناصرة الباطل، ومعاونة أهله، قد تقع في ذهن أغلب الناس اليوم على أنها الشكل التقليدي من المعاونة والنصرة، والمدح والتبرير لأعماله، والدعاية لأفكاره، ووصف ثقافته وقوله وعمله بأنها الصواب؛ مجانبة للحق وتزييفًا للواقع من أجل دنيا فانية ومتاع زائل، وهذا هو لب قول الزور، بل إنه محض فعله الذي غلّظ عقابه القرآن ونبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام.

والبعض لا يكتفي بما سبق، بل يعمل على تخطئة ومحاربة المصلحين الذين يجاهدون بكل ما يملكون لإصلاح الدنيا بلا إله إلا الله محمد رسول الله، ويدفعون الباطل وأعوانه، والفساد وأركانه، ويكشفون ظلمه، وزيف ادعائه وتضليله الناس، وإفساده لمعاشهم ومعادهم؛ ظنًا منه أنه عمل لا بأس به، ولا إشكال عليه؛ في حين أن ذلك يُعتبر موالاة وعَونًا ونُصرةً للظلم، ومعاداة لأولياء الله، ومن عادى أولياء الله فقد عاداه سبحانه، واسمع لقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم حين يقول فيما يبلّغ عن رب العزة في الحديث القدسي: (من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب) [البخاري 6137] أي أنه ينتظر حربًا تفتح عليه من رب الأرباب وملك الملوك.. ومن كان الله عليه؛ فمن معه ومن ينفعه؟! ألا ما أضعفك يا ابن آدم!! وهذا العمل من أنكر المنكرات، ويعد من قول الزور، والله تعالى يقول: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} [الحج: 30]. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (الظلمة وأعوانهم في النار) [أخرجه الديلمي (4000)]. لقد أكدت الآيات الكريمة

والروايات الشريفة أشد التأكيد على حرمة مناصرة ومعاونة الفساد والمفسدين الظالمين بأي شكل من الأشكال، وتحت أي مسمى من المسميات، وشددت على وجوب اجتنابه؛ لأن مناصرة الظلم ظلمٌ، وضلال، وتكذيب، وتشويه لحقيقة الصلاح وأهله. يقول الله سبحانه وتعالى : {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: 63].

الأداة المنفذة للظلم:

إن الأداة المنفذة للظلم والعدوان والفساد هم أعوان الظلمة، وحينئذ يكون جزاؤهم من الله العذاب الأليم الشديد قال تعالى: {وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ}. وحاق: بمعنى أصاب ونزل. يعني اصابهم ونزل بهم سوء العذاب {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا} ويوجد فيها احتمالان:

1- أن ذلك في دار الدنيا؛ فإن أعوان الظلمة هم في أشد وأسوأ العذاب، وإن كانوا يبتزون أموال الأمة، ويأكلون منها؛ فهم في عذاب دائم، وحتى من الناحية المعنوية؛ فهم في جحيم بما يقدمونه من ظلم واضطهاد للناس، وبعبارة أخرى عندهم من الذنوب والمعاصي ما يؤهلهم لدخول النار؛ فهم يُعرضون عليها في الدنيا.

2- أن هذا العرض يكون في عالم البرزخ، وهو ما بين الدنيا والآخرة؛ فإن البرزخ هو الوسط بين الشيئين، ولأن البرزخ قريب من الدنيا فحينئذ يكون فيه ليل ونهار، وربما قيل: إنه حتى في الآخرة يوجد صبح وليل كما في قوله تعالى: {وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [مريم: 62].

أشد العذاب، إن أعوان الظلمة سوف يحصدون ما زرعوا في دار الدنيا من دماء سفكوها، واعراض انتهكوها، وأموال سلبوها وحقوق اغتصبوها؛ خدمة لأسيادهم الظلمة {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} يذكر بعض المفسرين انه إذا كان هذا عذاب آل فرعون وهم أعوانه في أشد العذاب؛ فكيف حينئذ بفرعون الذي هو سيدهم، وكيف يكون عذابه؟!! لا شك أن عذابه أعظم وأكبر؛ لأنه الآمر لهم.

ولكن يمكن أن يلاحظ على هذا:

1- أشد العذاب هو نهاية العذاب في القوة والشدة؛ فيكون أعوان الظلمة في أشد العذاب، ولا يكون أحد أشد منهم في ذلك.

2- أن أعوان الظلمة هم المباشرون للجرائم من القتل والظلم، وقد تقرر في الفقه الإسلامي أن المباشر للجريمة هو الذي يتحملها أكثر من الآمر، وهو الذي يُقتص منه؛ فيكون عذاب الأعوان أشد من الظلمة أنفسهم.

3- نعم ممكن أن يكون الظالم اكثر عذابًا من كل فرد؛ باعتباره عنوان الظلم والفساد، وتعدد أعوانه؛ فهو يشارك كل فرد من أعوانه في الإثم والعدوان، فيصبح مجمع الرذائل والعذاب، وإن كان كل فرد في الجريمة التي يباشرها أشد عذابًا من غيره.

وقد دلت روايات عديدة أن أعوان الظلمة أشد عذابًا من الظلمة؛ فلولا الأعوان لما تمكن الظالم أن يظلم.

المسئولون عن كل هذه الجرائم:

شدد الإسلام النكير على أعوان الظلمة، وجعلهم مسئولين عن كل جرائم أسيادهم؛ لذلك حذر الأمة جميعًا من التعاون مع الظلمة والدخول في ظلمها قال تعالى: {وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ} [هود: 113]. أي لا تعتمدوا عليهم، ولا تستندوا إليهم؛ فيكون ذلك سببًا لدخولكم النار.

روي أن (من مشى إلى ظالم ليعينه، وهو يعلم أنه ظالم؛ فقد خرج من الإسلام) [أخرجه البخارى في التاريخ الكبير (250/4) والطبراني (227/1)]. وروي أن (من مشى إلى سلطان جائر طوعًا من ذات نفسه ملقى إليه بلقائه والتسليم عليه؛ خاض في نار جهنم بقدر خطاه إلى أن يرجع من عنده إلى منزله، فإن مال إلى هواه أو شد على عضده؛ لم يحلل به من الله لعنة إلا كان عليه مثلها، ولم يعذب في النار نوع من العذاب إلا عذب بمثله) (الديلمى عن أبي الدرداء) .

فالمشي إليهم لإعانتهم، وتعليق السياط أو آلة القتل والتعذيب لهم كالسيف والبندقية وغيرها، كل ذلك مشاركة معهم في ظلمهم وعدوانهم فيكون مصيره مصيرهم.

وروي أنه (إذا كان يوم القيامة ينادي مناد: أين الظلمة أين أعوان الظلمة؟ أين أشباه الظلمة حتى من برى لهم قلمًا، أو لاق لهم دواة، فيجتمعون في تابوت من حديد، ثم يرمي بهم في جهنم)

فحرمة معاونة الظالمين في ظلمهم من الأمور المحرمة التي دل عليها الكتاب والسنة والإجماع والعقل، وهي من الكبائر التي توعد المولى سبحانه فاعلها بالنار.

ترى أبعد هذا ستزور؟! أو سيجد الظالمون من يزور لهم؟!

المزورون وعمر بن الخطاب:

لو أن المزور قبل أن ينفرد بجريمته عن مجتمعه علم أن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين قد رجع ليحكم البلاد، وليقيم الشرع على العباد، وليرسي بالشريعة قواعدَ العدل والأمان بين الناس، ماذا سيفعل هل سيرتكب هذه الجريمة الخطيرة في حق مجتمعه؟!

أولاً: لم يتكرر في عهد عمر ولا الخلفاء في الدولة الإسلامية عمليات التزوير المنظمة، ربما لأنه لم تكن هناك انتخابات بهذه الصورة، لكن الدليل على انه لو كانت هناك انتخابات بهذه الصورة لم يحدث بها التزوير الفاحش الذي لم تسلم منه أي انتخابات في بلادنا وحتى تاريخه.. والدليل على ذلك هذا الردع التشريعي والمجتمعي الذي أرساه عمر ليردع أصحاب النفوس المريضة من أن يقترفوا جُرمهم ويهدموا بنيان الله في أرضه.. فتعال معي لترى ما الذي فعله عمر بشاهد الزور، لقد استحق الطرد والمقت والتعزير والتشهير وتعريف الناس به حتى يحذروه.

وقد كتب عمر بن الخطاب إلى عماله في شاهد الزور:

أن يُضرب أربعين سوطًا:

الجلد هو الإيلام الجسدي الذي يحمل معنى العقاب الاليم المهين والجلد هو ذلك الحد الذي يعزره به الإمام والحاكم، كشارب الخمر والزاني غير المحصن، وقاذف المحصنات المؤمنات الغافلات.

وأن يسوَّد وجهه:

وتلك العقوبة يتفرد بها المزور؛ وذلك ليعرف الناسُ أن الإسلام الذي جاء ليستر الناس في معاشهم، ما فضح هذا المزور؛ إلا ليستر ويصون المجتمع ويحفظ حقوق الناس واختياراتهم.

ويحلق رأسه:

وسمة أخرى فاضحة وكاشفة، وعقاب لمن يفهم، ممن عايش الرجال أن يُذلّ هذا الذل، وهذا الهوان بأن تُحلق رأسه، وتشوّه أيضًا بالحلق، ليتشوّه في مجتمعه؛ لعل ذلك يردع المزور!

ويُطاف به:

لعل تسويد وجهه، وحلق رأسه؛ ليس عقوبة منفردة تُقصد إلى إذلاله في محيطه الصغير، بل إنه لا بد أن يُطاف به؛ ليعرفه كافة الناس، ويعرفه المجتمع بجريمته؛ حتى لا يعود هو ولا غيره إلى ذلك الجرم. ويرتدع من يفكر في إتيان مثل فعلته. وكأن عمر قد أذن بطباعة صورته ونشرها لتعريف الناس بالمجرم ، وهى عملية مرادفة للطواف به .. فهل تخاف أيها المزور من خطر هذه الفضيحة الكبري ؟!

ويُطال حبسه:

العجيب والعبقري في عقاب عمر في ان يُطال حبسه، وهذا الهدف السامي في تغييب كافة أشكال تغيير الحقائق وتزويرها، وإبعاد من يفعل ذلك عن حياة الناس؛ صونًا للمجتمع وحفاظًا على نقائه وشفافيته؛ فأمر بأن يُطال حبسه؛ لتُدفن مثل هذه الجرائم من قاموس المجتمع؛ لأن عمر رضي الله عنه فطن إلى أن مثل هذه الجرائم كفيلة بهدم المجتمع وتهديد أمنه وتعكير صفوه

(كما يرددون). وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل. وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك قال: قدم رجل من العراق على عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - ، فقال: جئتك لأمر ما له رأس ولا ذنب. فقال عمر: وما ذاك؟ قال: شهادة الزور ظهرت بأرضنا. قال: وقد كان ذلك؟! قال: نعم. فقال عمر بن الخطاب: والله لا يؤسر (لا يُحبس) رجل في الإسلام بغير العدول. وكان الخلفاء - رضوان الله عليهم- إذا جيء لهم بشاهد زور؛ أوقفوه وعرّفوا الناس به وحبسوه. وقد سبق معنا تحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ)(رواه البخاري).

قانون (هزيل) وتشريع رائع:

يتجلى التشريع الإسلامي والقانون الإلهي في تعديل مسار المجتمع، والحفاظ على وحدته وطهارته، والاطمئنان على مساره في الحياة دونما تعكير لحياة الناس، وتزييف إرادتهم بشهادة الزور، وتجلى روعة التشريع في أنه حاصر المزورين؛ ليحد من مثل هذه الجرائم التي تهدد كيان الإنسان والمجتمع، والذي جاء الشرع لحمايته، ونفسه، وماله.. فحاصرها في هذا التشريع؛ فأخذ من كل صنوف العقاب: تعال معي إلى الجَلْد، وهو صنف الإيلام الجسدي والعذاب المادي الذي يردع من يخشى الجلد والإحساس بهذا العذاب.ثم لنذهب إلى عقاب تسويد وجهه، وهو كناية عن إلغاء مثل هذا الوجه المذنب؛ بحيث يشعرك بأن هذا الفرد غير موجود بالمجتمع، وتم إلغاؤه بتسويد أكرم ما لديه، وهو جبهته.. ويُحلق رأسه، وكأنه بعد

تسويد وجه وحلق شعر رأسه أصبح شيئًا غريبًا مستهجنًا يُخاف منه، ويردع بطلعته القلوب المريضة من أن تتورط في مثل فعلته. ويُطاف به، وهو هنا أمر بطبع صورته، ونشرها بكل الميادين، بعد التشويه؛ ليعلمه الناس، فيعزلوه عن مجتمعهم؛ فيهلك بفعلته، وتهلك معه ليحيا المجتمع..

ويُطال حبسه: الإسلام الذي جاء يحرر الإنسان، وعمر رضي الله عنه هو الذي أعلن على لسانه أصل الخلق في الشرع بأنهم أحرار؛ يأتي ليعلن أن الإسلام سيطيل حبس من زوّر ليرتدع رغم انفه، ولا يعاود جريمته، ولا تسول لأحد نفسه أن يأتي بهذه الجريمة..

ومما جاء في هذه العقوبات المجتمعة (مع العلم أن فعل الصحابة من مصادر التشريع في الإسلام) مستندة إلى تغليظ العقوبة التي تضمنتها الأدلة الشرعية من القرآن والسنة النبوية المطهرة عقابًا رادعًا.. من جلده وتسويد وجهه، وحلق رأسه، ووالطواف به وإطالة حبسه..

وليس الهراء الموجود فيما جاء من عقاب (هزيل) لشاهد الزور، مانحًا الحرية لمن يفعل هذه الجريمة بأن حكم على شاهد الزور بهذا العقاب (الهزيل) الهشّ الذي يشجع الجريمة وينشرها؛ ليهدم بنيان المجتمع وهو المذكور في المادة 299 مادة 300 ومادة 301 يحكم عليه بالحبس، ويجوز أن تزداد عليه غرامة لا تتجاوز مائة جنيه.

هذا عقاب الشرع في المزور، وهذه منحة قانون الظلم لأعوانه!!

شهادة للحق تكفيك

وإذا كانت شهادة الزور مذمومة، فشهادة الحق محمودة، ولذلك قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} (النساء:135). وقال عز من قائل: {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (الزخرف: من الآية86). فنسأله سبحانه أن يجعلنا من الشهداء بالحق القائمين بالقسط، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه. إن الجهاد في سبيل الله تتعدد أنواعه وصوره وأشكاله، وأهم صور تتحدى الإنسان في شتى بقاع الدنيا اليوم هو الجهاد لتحرير النفس من عبودية غير الله تبارك وتعالى، واعلم أخي الحبيب أن هذا الكلام لا أخص به كل الناس فهو يرجع إلى استطاعة كل فرد ومسئولياته، لكن القاسم المشترك بيننا جميعًا هو أننا تمر علينا جميعًا الشهادة وتعرض علينا في أمور كثيرة.. فالواجب فيها الإعراض عن شهادة الزور، وقول الحق والشهادة به، والجهر بذلك، وذلك بعد تحري الحق وقصده .. ولذلك فإن إقامة شهادة الحق وإعلانها فرض وواجب، والتخلف عنها كتمان للشهادة..

فإذا أردت النجاة فعليك الأداء.. وإن خفت تلك الهلاكات والعذابات في الدنيا والآخرة وأردت أن تنجو وتكفى فشهادة للحق تكفيك.. ابحث عن أهل الحق والصلاح، ومن يدفعون عن الناس الفساد، ويجابهون الظلم ويتحدونه، ودر معهم، واشهد لهم، واجمع على الناس قلوبهم، وادفع الشر والفساد عن الناس بصحبتهم، فيد الله مع الجماعة والتعاون ما نكر إلا

على البر والتقوى، وأي بر أفضل من دفع الشر والفساد والظلم عن الخلق، وأي تقوى إن لم تكن تلك التي تمنحك قوة في طريق إقامتك الشهادة لله بإخلاص، واعلم أن طريق إقامتك الشهادة ليس ممهدًا ولا مفروشًا بالورود؛ فلقد قضى الله تبارك وتعالى في سننه بخلقه أنه لا يخلو طريق الحق من كدر وفتنة ونصب وتعب؛ فتلق عن الحق الضربات لتفز بالجنات، والله تعالى مع من يسعى له، ومن كان الله معه فمن عليه.. وهي تكفيك. بكل سهولة ويسر ودون خوف أو وجل أدِّ شهادة الحق، وأعلنها وتوكل على الحي الذي لا يموت، وأعلن أنك حررت نفسك من عبودية غير الله؛ فأنت لا تخاف إلا الله ولا تعبأ بغير الله..

جريمة الصمت (كتمان الشهادة):

لعل من أسهل الجرائم وأيسرها وأخفاها هي تلك التي تشجعها سلبيتنا وتكاسلنا عن القيام بواجبنا نحو إقامة الشهادة لله، والشهادة للمصلح بأنه مصلح يجب اتباعه ودعمه، والشهادة للمفسد برد فساده وظلمه وإقامة الشهادة عليه بأنه فاسد ومفسد، وغير جدير بإقامة الشهادة له بغير حق؛ فهذه هي عين شهادة الزور والتزوير.. ولعل الصمت هو ذلك الفعل الذي اعتاده الناس، ولا يحسون به ولا بجرمه في حق أنفسهم وحقوق العباد؛ فتلك الكتلة الهائلة من الصامتين لا يعلمون أنهم بصمتهم يشهدون زورًا بصورتين:

الأولى: هي أنهم لم يشهدوا لمن تحق له الشهادة؛ فلم يقيموها له فكتموا الشهادة وما ترتب على ذلك من حرمان من يستحق الشهادة فنحُّوه عن حقه وحق الناس فيه، فأثمت قلوبهم وأثموا، وذلك مصداق لقول الله: {وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ} [البقرة: 283]

الثانية: بسكوتهم أعطوا الفرصة للظالمين كي يحصلوا على حقوق المصلحين أصحاب الشهادة الحق؛ فأفسدوا الأمر مرتين.. وما كان ذلك إلا حصاد صمتهم وكتمانهم للشهادة.

.. تلك الجريمة التي نرتكبها في حق مجتمعنا وأنفسنا.. وهي جريمة الصمت.. والصمت؛ نعم لأن إقامة الشهادة وأداؤها من الفرائض، والصمت في حال طلب الشهادة وأدائها شهادة زور وبذلك أقر الشرع الحنيف، فتوفية الشهادة حقها فرض لازم، وواجب محتم يقول- جل وعلا -: {وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ}. والقائمون بشهاداتهم في عداد أهل البر والإحسان، ومن زمرة أهل الفضل والإيمان يقول- جل وعلا- في وصف المكرمين: {وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ}.

ومن حقوق الإيمان وواجباته الشهادة في الحق، ولو على النفس أو أقرب قريب {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} وإقامة الشهادة تشمل تحملها على إنشاء العقود والتصرفات، وأداءها أمام القضاء والقضاة، قال أهل العلم: ومن دُعي إلى الشهادة على عقد أو تصرف من حقوق العباد، ولم يوجد غيره يقوم مقامه؛ وجب عليه تحمل الشهادة إذن، وإلا فهو مندوب ومرّغبٌ فيه، وفي حق الجميع حينئذ فرض كفاية، وهذا بعض ما قرروه بالتحمل.

وأما الأداء فقد قال أهل العلم: وأداء الشهادة فرض على الكفاية، إذا قام بها العدد الكافي؛ سقط الإثم عن الجماعة، وإن امتنع الجميع؛ أثموا، وإذا لم يكن هناك غير ذلك العدد من

الشهود الذين يحصل بهم الحكم وخيف ضياع حق العبد؛ وجبت على الإنسان حينئذ وجوبًا عينيًا، يقول الله- جل وعلا- في جميع ما تقدم { وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا } وهذا في حقوق العباد، أما الحدود فالستر أفضل كما قررته سنة النبي – صلى الله عليه وسلم - . ولئن كان الأمر هكذا بالنسبة للتحمل والأداء؛ فإن ضده وهو الكتمان أمر مذموم شرعًا، ومبغوض طبعًا، يقول- جل وعلا -: { وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ} قال بعض اهل العلم: ما توعد الله على شيء كتوعده على كتمان الشهادة حيث قال: {فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ }. فكتمان الشهادة جرم عظيم وإثم كبير، يقول- جل وعلا -: { وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ } قال ابن عباس- رضي الله عنهما- : (شهادة الزور من أكبر الكبائر، وكتمان الشهادة كذلك).

ومن الجرائم أيضًا شهادة الإنسان على ما لا يعلمه، أو شهادته بخلاف ما لا يعلمه، وذلك جريمة عظمى وطامة كبرى. نعم كيف لا تكون كذلك، وهي حقيقة شهادة الزور التي هي عند اهل العلم الشهادة الكاذبة التي ليس لها أساس من الصحة أيًا كانت دوافعها، ومهما كانت تبريراتها!

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله - : (وضابط الزور: وصف الشيء على خلاف ما هو به. وقد يضاف إلى القول فيشمل الكذب والباطل، وقد يضاف إلى الشهادة فتختص بها. وقال بعضهم: الزور هو الكذب الذي قد سُوِّي وحُسِّن في الظاهر؛ ليُحسب أنه صدق) انتهى.

فالمسلم الصادق مستقيم في حياته، يسير على منهاج لله تعالى لا يزيغ، ولا يحيد؛ فلا يعرف الكذب ولا الخداع أو النفاق أو كل شيء يبعده عن رحمة مولاه، ومغفرة ربه تبارك وتعالى، وجاء الإسلام ليقيم الحياة كلها على الصدق لينسجم الكون مع سنن الله تعالى التي لا تتبدل ولا

تتغير: يقول تعالى: {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً} [الأحزاب: 62].

وحذرت الشريعة الإسلامية من أفعالٍ لو انتشرت في مجتمع لأفسدت الحياة فيه، ولانهارت العلاقات بين الناس، وترتب على ذلك الشر والفساد، ومن هنا جاء تحذير الإسلام من شهادة الزور التي تجلب على صاحبها الإثم والبوار في الدنيا والآخرة

الآثار الكارثية للتزوير وشهادة الزور:

واعلم أن قول الزور أو شهادة الزور يترتب عليها:

1- ضياع الحقوق:

فشاهد الزور يقتطع مال أخيه وحقه ويعطيه لغيره بيمين كاذبة فاجرة، يضلل بها الحاكم، وهذه جناية عليها وعيد وشديد، فقد روى البخاري أن رجلاً جاء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله- ما الكبائر قال: (الإشراك بالله،... قال ثم ماذا؟ قال- اليمين الغموس) – قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: (الذي يقتطع مال امرئ مسلم) يعني بيمين هو فيها كاذب، وسُميت غموسًا؛ لأن صاحبها يُغمس بها في نار جهنم، ولا كفارة لها إلا بالتوبة النصوح- ولا تكون التوبة النصوح حقًا إلا برد الحقوق إلى أصحابها- أو استسماحهم فيها إن أمكن ذلك،

فإن لم يمكن الرد- ولا طلب السماح- وجب التوجه إلى الله- تعالى- بطلب العفو- وإرضاء الخصوم يوم القيامة.

2- الكذب والتدليس:

هذا ما يترتب على قول الزور، ويترتب على الكذب والتدليس ذل الدنيا وخزي الآخرة- قال- تعالى - : {ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين}. واعلم أخي المسلم أن الكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم؛ لسوء عواقبه وخبث نتائجه.

3- إعانة الظالم على ظلمه:

وهو مما يترتب على شهادة الزور- وهذا يعرض شاهد الزور إلى سخط الله- تعالى - ، فعن ابن عمرو- رضي الله عنهما- قال سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: (من حالت شفاعته دون حد من حدود الله- عز وجل- فقد ضاد الله- عز وجل - ، ومن خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه؛ أسكنه الله في ردغة الخبال حتى يخرج مما قال) [أخرجه أبو داود (3597)، والحاكم (2222) وقال: صحيح الإسناد].

4- طمس معالم الحق:

وهو مما يترتب على شهادة الزور- وهذا ذنب كبير؛ فشاهد الزور يقف ضد الله- تعالى- ويحارب عدالته في الأرض- وهو بإعانته الظالم على ظلمه يعلن الحرب على الحق والعدل، يقول رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : (من مشى مع ظالم ليعينه، وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام).

5- أكل الحرام:

ويترتب على شهادة الزور أيضًا - فشاهد الزور غالبًا يبيع شهادته ويمينه بثمن بخس- والله- تعالى- يقول: {ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل}، يقول ابن عباس- رضي الله عنهما- في تفسير هذه الآية: يعني باليمين الكاذبة الباطلة يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل، واعلم أخي أن أكل الحرام يوصد أبواب السماء في وجه الأعمال الصالحة.

وقال يوسف بن أسباط- إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه؟ فإن كان مطعم سوء؛ قال: دعوه يتعب نفسه ويجتهد، فقد كفاكم نفسه؛ لأن اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه؛ فكل هذه العواقب ناتجة عن شهادة الزور.

ونحن هنا نقول- لشاهد الزور- : أيها المقيم على الخطايا والعصيان، التارك لما أمر به الرحمن المطيع لإغواء الشيطان، إلى متى أنت مُصِرّ على هذا الذنب إلى متى تفر مما يقربك إلى مولاك؟ تطلب من الدنيا ما لا تدركه، وتبتغي من الآخرة ما لا تملكه- لا أنت بما قسم الله لك من الرزق واثق، ولا أنت بما أمرك به لاحق.

من الآثار الكارثية للتزوير:

إن من أهم ما خلّف التزوير من طوام كبرى أنه نحّى الشرع الإلهي والقانون الرباني الذي أنزله الله لسعادة الناس في حياتهم؛ فغيّبه أن يحكمهم ويسعدهم برحمته، فطالهم عذاب الاستبداد والفساد الذي قبلوا به بديلاً عن الحق؛ فحاق العذاب بهم في معاشهم ومآلهم

لتزويرهم وصمتهم، فلم تخدوا في الشرع الارضي ما يحمي حياتهم ويقدس في الأرض وجودهم كما فعل الشرع الحنيف..

لأن المزور هو عدو الحق، وعدو الحرية وقاتلها الذي لا يرعوي بقانون او عقوبة، والحق أبو البشر والحرية أمهم، والعوام صبية أيتام نيام لا يعلمون شيئًا، والعلماء هم إخوتهم الراشدون أن أيقظوهم هبوا وإن دعوهم لبوا. وذلك كما عبّر الكواكبي في طبائع الاستبداد عن المستبد، وانا لا أفرق بينه وبين من مكّنه من رقاب العباد والاستبداد. أن التزوير خلّف دولةً أساسُ الحكم فيها السجنُ والكرباجُ والتعذيب، لا دولة يقول حاكمُها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لوُلاته: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ عَظَّم حقَّه فوقَ حقِّ خلقِه، فقَالَ فيما عَظَّمَ مِنْ حقِّه : {وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 80]، الا وَإِنِّي لَمْ أَبْعَثْكُمْ أُمَرَاءَ وَلَا جَبَّارِينَ، ولكِنْ بَعَثْتُكُمْ أَئِمَّةَ الهُدَي، يُهْتَدَي بِكُمْ، ادرُّوا على المسلمين حقوقَهم، ولاَ تَضْرِبُوهم فتُذِلُّوهُمْ، وَلاَ تُجَمِّرُوهُمْ (اي لا تحبسوهم بغير حق) فَتَفْتِنُوهُمْ، ولا تُغْلِقُوا الأَبْوَابَ دونهم، فَيَأْكُلَ قَوِيُّهم ضَعِيفَهم، ولا تَسْتَأْثِرُوا عليهم فتَظْلِمُوهُم، ولا تَجْهَلُوا عليهم) .

وفي رواية: (إِنِّي لَمْ أَبْعَثْكُمْ جَبَابِرَةً، وَلَكِنْ بَعَثْتُكُم أئِمَّةً، فَلَا تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ فَتُذِلُّوهُمْ، وَلاَ تُجَمِّرُوهُمْ فَتَفْتِنُوهُمْ، وَلَا تَمْنَعُوهُمْ فَتَظْلِمُوهُمْ). وما أروعَ قولَه رضي الله عنه: (أَيُّهَا الرُّعَاءُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ حِلْمٍ أَحَبَّ إِلَى اللهِ، وَلَا أَعَمَّ نَفْعًا مِنْ حِلْمِ إِمَامٍ وَرِفْقِهِ، وَلَيْسَ مِنْ جَهْلٍ أَبْغَضَ إِلَى اللهِ وَأَعَمَّ ضَرَرًا مِنْ جَهْلِ إِمَامٍ وَخَرَقِهِ (يعني شدته)، وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْ بِالْعَافِيَةِ فِيمَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ يُعْطَ الْعَافِيَةَ مِنْ فَوْقِهِ).

وصدق النبيُّ صلى الله عليه وسلم حين قال: إذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِم الحُلَمَاءَ، وَجَعَلَ اموالهُمْ فِي أَيْدِي السُّمَحَاءِ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ بَلَاءً اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِم السُّفَهَاءَ، وَجَعَلَ اموالهُمْ فِي أَيْدِي البُخَلَاءِ، أَلَا مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ؛ رَفَقَ اللهُ بِهِ يَوْمَ حَاجَتِهِ، وَمَن احْتَجَبَ عَنْهُمْ دُونَ حَوَائِجِهِمْ احْتَجَبَ اللهُ عَنْهُ دُونَ خَلَّتِهِ وَحَاجَتِهِ.

وقال صلى الله عليه وسلم: إذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ خِيَارَكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سُمَحَاءَكُمْ، وَأُمُورُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ؛ فَظَهْرُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا (أي: الحياة خير لكم من الموت)، وَإِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ شِرَارَكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بُخَلَاءَكُمْ، وَأُمُورُكُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ فَبَطْنُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا). أي: فالموت خير لكم من الحياة. إن أهم وأخطر أثر خلفه التزوير، وهو جامع لكل شر، هو أنه أعطى الولاية لغير أهلها، ووضعها في غير محلها؛ فسيَّد الفاسد والظالم، ونحَّى المصلح وأعطى اللص مفتاح القرار؛ فاحدث كل فساد ممكن، ومكّن للظلم وللاستبداد لزمان قد يطول، وقد يقصر بحسب رغبة جموع المغلوبين.. فإن رضوا؛ سلط الله عليهم مزيدًا من ظلم حكامهم، وجور سلطانهم على جميع مظاهر حياتهم، وإن هم هبّوا إلى دفع الظلم عن أنفسهم؛ أعانهم الله ليتخلصوا منه، ودفع مظاهر الفساد التي طالت معاشهم ومعادهم.. فاي الغاديين أنت؟.. هل سنوقف التزوير والمزورين أم نتركهم بجرمهم يمرون وتغرق سفينة المجتمع.. كما حدث الآن

من دوافع وأسباب شهادة الزور:

هناك أسباب ودوافع متعددة لا تخرج أن تكون نفسية من حيث الدافع، ومادية من حيث السبب، وعمومًا لشهادة الزور عامة دوافع لن تخرج عن ضعف في الشخصية وخلل في السلوك ناتج عن تراكم تربوي وفراغ عقابي رادع أدى إلى عدم اهتمامه بمجتمعه وتغليب مصلحته وحاجته الشخصية الضيقة على مصلحة العامة، بنظرة قاصرة، وسواء كانت هذه المصلحة في صورة مكاسب مادية من مال أو منصب أو سلطة أو نفوذ أو ما ينصرف إلى ذلك مغلبًا فيها مصلحته فقط، ولا يأبه بما يحدث لغيره من فعله، أو اتقاء لبطش أو شر قد يطاله من ظالم أو مستبد أو خوفًا على فوات مصلحة أو وظيفة أو مثل ذلك..

أو يكون شذوذًا في الشخصية واعوجاجًا أصاب شخصيته من حسد أو حقد سواء لشخص أو جهة أو مبدأ وسواء جر له نفعًا أو لا؛ فالشخصية التي تحمل هذا الشذوذ النفسي اعتادت ممارسة الانتقام بأي شكل ممن يحقد عليه أو يحسده دون التفكير في المآلات.

وقد يكون ضعف الشخصية أحد أهم الأسباب التي تجعله ينصاع للضغط عليه فيقبل أن يقوم بمثل هذه الأفعال مبررًا لنفسه أسبابًا واهية كالخوف على العيال، ومستقبلهم ورعايتهم، وألا يجوعوا ولا يتشردوا ولا يدري هذا المسكين أن الذي يرزقهم ويحميهم ويطعمهم ويسقيهم هو الذي سيرعاهم وسيكفيهم هذا الظلم، إن هو أعرض عن معصيته وترك التزوير لغيره يبوء بإثمه وإثم الظالمين.

ولتتفكر مليًا بوظيفتك ؟؟ من رزقك بها ؟؟ أليس الله ؟؟ وعيالك من رزقك بهم ؟؟ أليس الله ؟؟ ومن القادر على ما تخاف أليس الله ؟؟ فكن مع الله يكن الله معك..

وقد تتنوع الدوافع والأسباب لكنها لن تبرر تلك الجريمة؛ لأن القائم بمثل هذه الجريمة لو قاس أثر فعله كما أوردنا بما سيصيبه مع أجر الله له لصبر ودفع الظلم وشهادة الحق.. وما عند الله خير وأبقى. ومن ترك شيئًا لله أبدله الله خيرًا منه..

هناك بعض الدوافع لشهادة الزور

لا تخرج عن هذه الدوافع :

- الحسد والحقد للمشهود عليه.
- ضعف الإيمان فشاهد الزور لا يقدم على هذا الذنب العظيم إلا لأنه يشعر بضعف شديد في إيمانه.
- القرابة أو الجوار.
- الجري وراء مصلحة ومنفعة.
- قد تعود عليه عند شهادته بالزور مثل الحصول على مبلغ كبير من المال أو الحصول على وظيفة أو قضاء مصالح له.
- الهوى والعصبية.

أو قد يبرر له بُغض الناس فكل ذلك قد يدفع الإنسان إلى كتمان الحق بل إلى شهادة الزور.

فالإنسان مكلف بشهادة الحق ولو كان ذلك ضد مصلحته أو مصلحة أقرب الناس إليه، فيقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء 135].

فلا يعدل الإنسان عن الحق بسبب غني أو فقير، فلا ترعه لغناه ولا تشفق عليه لفقره، فالله يتولاهما، بل هو أولى بهما منك، والله أعلم بما فيه صلاحهما . [انظر تفسير ابن كثير 686/1].وهذا موجود، وقد يقع فيه الكثير من الناس؛ إذ قد تحملهم العاطفة على مجاملة الفقير أو المسكين بسبب حالته المادية المتردية أو وضعه السيئ، ولكن الصحيح أن يشهد المسلم بالحق على الجميع سواء كانوا فقراء أو أغنياء.

شهادة الزور وتزوير الانتخابات

إن مكونات العملية الانتخابية على اختلاف أشكالها وأماكنها تتشابه وكذلك عناصر تنفيذها، ولذا تستطيع أن تعبر عن المزور بصور وشخصيات مختلفة من حيث دورها في المعركة فقد يكون:

الناخب مزورًا. المرشح مزورًا. القاضي مزورًا.

المراقب مزورًا (الإعلامي ، جمعيات حقوقية).

موظف التصويت مزورًا. الشرطي مزورًا.

وقد تجد صورًا أخرى من معاوني هؤلاء وملحقاتهم وصبيانهم والتابعين لهم..

لكن الشرع الحنيف لا يستثني أحدًا من عقاب ما استبان له فعله وعمد إليه غير عابئ بحقوق العباد ولا بعقاب الله في الدنيا قبل الآخرة.. {لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم}.

فتعال بنا نرسل إلى كل حالة تحذيرًا، كي لا يقع في هذا الجرم، لنحذره من أن يقع في مخالفة يعدها خطأ وظيفيًا، ويعدها الشرع جريمة لا يغفرها المجتمع صاحب الحق، فيرمي بصاحبها في هوة سحيقة وعذاب مقيم.

إلى المرشح.. أحذرك شهادة الزور..:

الكل يسأل كيف يكون المرشح مزورًا؟!

<u>الإجابة:</u> عندما يزكي نفسه للحصول على شيء ليس كفئًا له ولا يستحقه.

فلا بد للمرشح إلى منصب أن يزكيه من عرفه من العدول أولاً ممن حوله (دائرته الضيقة)؛ حيث إنه من استبانت خيريته بين أهله؛ فهو مرشح إلى أن ينال من هذا الخير مجتمعه، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي).[الترمذي وصححه]

ولا بد أن يوافق أغلبهم على استحقاقه الترشح، ولا بأس أن يترشح من ظن في نفسه كفاءة، ورضي بحكم الاقتراع؛ ليعرف مدى جدارته راضيًا بنتيجة الاقتراع معتمدًا عليها في ذلك.. إن لم يقدر على تمييز ذلك، وخفي عليه شهادة العدول فيه؛ فلكل حق معرفة جدارته. وقياس كفاءته.. واستحقاقه.. وإن تحفظ البعض على اعتبارها دليلاً..

<u>من المهم أنت تتأكد أولاً هل تصلح أنت لما ترشحت له أم لا؟</u>

ووذلك بسؤال الناس العدول منهم لا السفهاء ولا أصحاب المصالح ولا المنتفعين الذين يخدعونك لينالوا رضاك، أو يخشوا بطشك وبأسك فيزينون للناس طمعًا فيما عندهم وهم أضل الناس وأس كل فساد. ولا كذلك من لهم رأي ينطوي على حسد أو ميل لعدواة أو ما شابه؛ فهؤلاء ليسوا عدولاً فيك وتجرح شهادتهم في هذا الموضع.

كيف تميز هؤلاء؟

اقول لك وبكل سهولة: لا بد من النظر في الناس من حولك وخاصة بطانتك ستعلم من فيها يداهنك، ومن ينافقك ممن ينصحك، ويؤتمن على الشهادة؛ فاطلب شهادتهم فيك من حيث صلاحيتك في الأمر الذي ترشح نفسك له، ولا بد من توفر علمهم به، وبما يحتاج من مؤهلات، لا يكفي أن يكونوا امناء فقط، بل لا بد من أن تتوفر فيهم الخبرة والدراية والعلم بمؤهلات ومتطلبات كل دور، ومن يرشح له؛ فإن وجدهم فاسألهم فإن أجازوك في هذه المهمة فيكفيك شهادة هؤلاء الأمناء الأكفاء، وتوكل على الله فهم قد تحملوا فيك شهادة المستشار؛ فإن صحت فقد أدوا أماناتهم، وإن أخفوك وكذبوك فقد جنوا على أنفسهم بشهادة زور سطروها في صحائفهم وبئس المصير..

ثم يلزمك بعد ذلك إن صح ترشحك أن تتحرى نيتك، ولا تخن بها نفسك ولا أحدًا.. واظهر للناس ولا تكذبهم ولا تدلس عليهم وعودًا أو أماني كاذبة تعدهم بها، لتنال صوتهم واختيارهم ثم تسدر لتاكل حقهم وتقتات على دمهم ولحمهم، فتوافق على أن تنضم وتوقع لعصبة فاسدة أو حزب لا يراعي مصالح الناس في معاشهم ومعادهم..

وإذا رأى الناس فيك أنك غير أهل لذلك؛ فلا ينبغي لك أن تتصدر هذا الأمر ولتؤثر السلامة لنفسك ولتستبرئ لدينك وعرضك.. وإن كنت قاصدًا الإصلاح والخير؛ فأبواب الخير وخدمة الناس إن أغلقت في ميدان؛ فقد شرعت في أخرى، وكن مع المصلحين وضم جهدك إلى جهدهم؛ فهو واجبك، ولترجع خطوة للخلف؛ حيث صفوف العاملين المؤدين حق الله والوطن في مقاومة الفساد بالإصلاح.. ولا تطلب لنفسك غير مكانتك فتضطر إلى أن تحشد الناس إلى أن يشهدوا لك زورًا بمال أو عصبة أو قرابة أو سطوة؛ فتكون جبارًا مفسدًا في الأرض، آمرًا بأن يُعْصَى الله في أرضه بشهادة الناس لك زورًا أو السعي لتزوير إرادتهم لينتخبوك.. ولتبوء بذنبهم أنت ومن نفذ لك هذه الجريمة.. ولتنضم إلى فريق المزورين، وتلقى ما وعدهم الله من عقاب في الدنيا والآخرة.. وليرحب بك في نادي الظالمين عضوًا جديدًا.. وأنت تعلم مقر هذا النادي.. وما يلحق بأصحابه..

إلى الناخب... أحذرك شهادة الزور..

أيها الناخب.. يا صاحب الحق.. أنت خليفة الله في أرضه.. فهل يصح في حق خليفة الله أن يخاف أو يرعوي من ظلم الظالمين، أو أن يسلم نفسه إلى هذا الخوف المبين.. ألم تعلم بأنك إن خفت غير الله فقد أشركت معه في القوة والبطش غيره زورًا وبهتانًا.. والله تعالى تنزه عن شريك أو ولد.. وتعلم أن الله خلقك حرًا، وأمرك أن تعيش حرًا.. وأن تدفع عن نفسك كافة أشكال العبودية.. إظهارًا لعبوديتك لله.. أيها الشاهد (الناخب).. هل تعلم على أي شيء تشهد؟!

وفي أي شيء تشهد؟!

وما نتيجة شهادتك؟!

هل تعلم كيف تكون قائمًا بالشهادة مقيمًا لها؟!

على تعلم موقعك في هذه الشهادة؟!

هل تعلم كيف تكون مزورًا؟!

لا بد أولاً أن تعرف وتوقن أنه لا ضار ولا نافع إلا الله، ولتُفَعِّل هذا الاعتقاد لا بد أن لا تتأخر عن إقامة الشهادة، وألا تخشى في الله لومة لائم، وأن تتوكل على الحي الذي لا يموت وكل عباده يموتون.. فتوكل على الله ولا تخف.. ولا بد أن تعلم في أي شيء ستشهد.. سواء كانت هذا الاقتراع العام على مجلس تشريعي أو مجلس استشاري لشئون البلاد، أو منصب رئاسي أو عام لدولة أو مؤسسة أو نقابة أو تجمّع.. فعليك أن تعرف في أي شأن تختار وفى أي وظيفة ترشح، فمثلاً لو أنك أحببت أن تصلح شيئًا قد فسد في بيتك، وتريد صيانته، فهل ستذهب أولاً لتختار من يصلحة قبل أن تعلم ما هو الشيء الذي فسد، وما المطلوب إصلاحه، ثم ترشح من يصلح لها.. وكذلك هذه الحالة فإذا رشحت فردًا أو أكثر لإصلاح شأن أو صيانة أمر لا بد أن تعلم أولاً ما الذي يؤديه هذا المجلس من وظائف لترشح له من يصلح.. وإن أردت مزيدًا، أو اتسع وقتك وإدراكك فلابد أن تتحرى فهذه شهادة، وكما قال سيدنا أبو الدرداء: (آه لو يتحرى المسلم لدينه كما يتحرى لحذائه).واعلم أن هذا الأمر دين.. نعم دين.. ألم يشرّع مجلس الشعب

للناس في حياتهم.. وما الدين إلا منظما لشئون العباد ومصلحًا للحياة ومظاهرها، ثم لا بد لك أن تتحرى نتيجة الشهادة ومآلها، وتدبر لها وترعاها حتى تُقام على الوجه الأكمل.

واعلم أن الله سيسألك عنها؛ هل أقمتها قدر استطاعتك أم لا؟ وهو وحده من يعلم قدر استطاعتك وسيحاسبك عليها في الدنيا والآخرة حتى تطمأن على إقامتها.. واعلم أن موقعك في هذه الشهادات وحالات الاقتراع العام انك أنت من تقرر، ومن تأخذ القرار، وقد أعطاك الله هذه الحرية؛ فلا تقيد نفسك بقيود لن يقبلها الله منك، وكن على قدر مسئوليتك..

فانت صاحب القرار؛ فخذ قرارك مع الحق والإصلاح واقم الشهادة واقض على الفساد، ولا تكن مع المزورين والظالمين، ودر مع الحق حيث دار، واعلم انك قد تكون مزورًا؛ لأنك في هذه الحالة من ينتظر الكل كلمتك، فإن شهدت بغير الحق معتبرًا في ذلك قرابة أو عصبة او ميل عن الحق، أيًا كانت صورته؛ فقد صدرت صحيفتك يوم القيامة بشهادة زور {يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون}.. فاسحب استمارة واترك الملك يكتبها عنك لتنضم إلى شهاد الزور، وإلى نادي المزورين الذي طالما حذرتك منه كثيرًا..

وإن حال بينك وبين أن تقيم الشهادة عذر من خوف أو جبن او حرص؛ فالله يعلم سرك وجهرك.. واعلم أن ضرر العباد لا يساوي في عقاب الله وبأسه شيئًا؛ فهو المنتقم الجبار الذي لا يغفر حقوق العباد وانت قد ظلمت صاحب الشهادة فاقمتها لغيره.. واعنت على هذا وقد قال محمد صلى الله عليه وسلم (من أعان على ظلم؛ فقد ظلم).

فاقم الشهادة لله، ولا تعبا بقريب ولا صديق ولا حبيب، ولا تخش بأس وضرر أحد؛ فالله اشد بأسًا وأشد تنكيلاً.

إلى المراقب.. أحذرك شهادة الزور..

قد يظن الناس أن المراقب الذي أجهد نفسه بحياديته ليراقب نزاهة عملية الاقتراع بمنأى عن أن يقوم بتزوير.. لكني أقول: إن وقفنا على شكل وعناصر الرقابة قد يتضح المقال: لنرى المراقب الحقوقي كيف يكون مزورًا وكذا الإعلامي كيف يكون مزورًا، وكذا الراصد والباحث وغيرهم ممن ليسوا إلا طرفًا محايدًا.. لكن بحكم سخونة العملية الانتخابية لا يخلو الأمر من ميل إلى أجندة الممول أو الانحناء لمصلحة الراعي.. وهنا تبقى إشكالية خطرة وجديرة بالاهتمام؛ ليس مكانها هذا البحث، وهي هل نقبل بالمراقب والراصد لهذه العملية برغم ما قد يتورط فيه من إعمال أجندته دونما مراعاة للحيادية؟!

- المراقب قد يكون مزورًا إن توانى عن نقل وتدوين وتوثيق التزوير والتجاوزات، ونشره قدر استطاعته. وقد تتعدد صور اعتدائه على الحيادية في الرصد؛ فكل شكل يعد من هذا القبيل؛ فهو شهادة زور، وكلّ صورة بحسب قدرها وظروفها، والمستفتي على مذهب مفتيه..

- إن اداة الإعلام هي أقوى الأدوات وامضاها أثرًا في تغييب وعي الناس، وكذا في تشكيله، وفي إثارة اهتمامه لإمر ما، وإلهائه عن غيره.. وهنا أذكر مثالاً لعله من أروع الأمثلة في إلهاء الناس بالآلة الإعلامية عن حياتهم الأساسية ومستقبلهم إلى ما أعدوه لهم لتزييف وعيهم؛ فلقد أثيرت قضية لاعب كبير في ناد مصري ترك ناديه دون استئذان فثارت الدنيا، وقامت ولم

تقعد، وتحدث الإعلام في هذه القضية بكل صورها وتعددها.. الراديو، الصحافة الورقية، والإلكترونية والفضائيات والقنوات حتى غير المتخصصة في الرياضة، فشغلوا الناس عن انتخابات المحليات 2008م التي ترعى مصالح المجتمع الأساسية في حياتهم اليومية والمرافق العامة.

وهذا نموذج صغير في قضية كبيرة.. وتم تزوير انتخبات وتم توسعة الطابور الخامس بضم 51.000 عضو مجلس شعبي محلي تمَّ فرضهم بطريقة التعيين، وليس بالانتخاب من الشعب، أليست هذه قضية تضليل وتعتيم إعلامي شغلت الرأي العام عن أهم انتخابات في أي بلد ليسطروا قضية تزوير جديدة، وليقترفوا جريمة ما تعودوا على القيام بها كأحد أهم وظائف هذا الجهاز التابع لإدارة الفساد العليا.

إلى القاضي أذكرك شهادة الزور..

القاضي هو صمام أمان المجتمع، وهو الأمين على الحق وعلى الشهادة، ولا يستقيم في حقه غير تذكيره؛ فإنه إن سقط القاضي من نظر من يبغي العدالة وإقامة الشهادة؛ فقد ضاعت الأمانة.. وإذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة - اي فانتظروا الخراب والنهاية.. فإن سقط القاضي فلا تعبأ بغيره.. في العملية الانتخابية يظهر دور القاضي الذي يحرص على إقامة الشهادة ممن يتكاسل أو يقبل الضغط والتهديد.. ونربأ بكل قاضٍ أن يكون كذلك.

فالقاضي الذي يحرص على أن تتم العملية برمتها في جو من الحرية، ويرعى حق الناخبين، ويؤمّنهم منذ دخولهم لجان الاقتراع ويرفع اي تأثير من شأنه تغيير الشهادة، وأن

يحقق ويدقق في سماع شكوى من يشتكي ويرفع الظلم؛ لتُقام الشهادة على حقها، ولا يقبل أن يُضغط عليه من أي جهة، ولا يتردد في رفض القيام بعملية التزوير أو الاشتراك فيها بصمته وإزاحته وتنحيته، وعزله عن العملية بكافة أشكال العزل والتعتيم ليبرر لنفسه أنه لم ير تزويرًا، ولنخلص إلى أن أي تقصير للقاضي في واجبه يعتبر تزويرًا بينًا لا خطأ في أداء الوظيفة أو اجتهادًا خاطئًا في مسألة من شأنها أن يحصل على أجر فيها..

إلى الشرطي أحذرك شهادة الزور..

إلى الشرطي... هذا الأمين على أداء الشهادة وتأمينها لتصل إلى مستحقيها.. كيف نرى حقيقة وظيفته وقد انتابته اليوم صورة مبدلة من وظيفته فقد صار يؤمن التزوير، ويردع ويخوّف جموع الناس من الحصول على حقهم في التصويت.. هذا ما دلت عليه تجارب شتى في حالات اقتراع عام وانتخابات في بلادنا.. لذا فأنا هنا أخاطب الشرطي بأن يكون أداة لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وأن يعرف أن الله يراقبه ويراه، وإن رزقه اليوم سلطة يظلم الناس بها فهو القادر على نزعها.. فاربأ بنفسك أن تكون أداة من أدوات الظلم، فيسعد الظالم ويسوءُ هو وسمعته وتطول معاناته من هذا.. والله إن هذا الشرطي لمسكين، وأقصد من أعلى لواء إلى أقل جندي، وكلهم إن اشتركوا في جريمة التزوير فجزاؤهم عند الله عسير..

لذا فإنك إذا اعترضت طريق الناس فأنت مزور..

وإن حابيت ولم تعدل في تعاملك مع عناصر العملية الانتخابية فأنت مزور..

وإن سمحت بأي تجاوز يشوب العملية الانتخابية وقصَّرت في أداء وظيفتك فأنت مزور..

إن جاءت النتيجة على غير حقيقتها وزورت إرادة الناس؛ فانت مسئول عن التزوير، وخير لك أن تتركها للظالمين والمفسدين يزورها بأيديهم، ولن يقدروا بغيرك ساعتها أن يزورها، وكما فعل ضباط شرفاء كثر وبلادنا مليئة بهم؛ فكن أيها الضابط من السابقين الذين سبقوا اليوم في الدنيا بإحقاق الحق لأصحابه ودفع الظلم والتزوير عن الناس لتكن في الآخرة من السابقين إلى جنة الله ورضوان.. وأخوفك بالله بما ورد في صحيح مسلم عن أبي مسعود البدري- رضي الله عنه- قال: «كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي: اعلم أبا مسعود! فلم أفهم الصوت من الغضب. قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله- صلى الله عليه وسلم - ، فإذا هو يقول: اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود! قال: فألقيت السوط من يدي. فقال: اعلم أبا مسعود! أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام. قال فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا».

وكان يزيد بن حكيم يقول: «ما هبتُ أحدًا قط هيبتي رجلاً ظلمته، وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله، يقول: حسبي الله، الله بيني وبينك!».

ولما حُبس خالد بن برمك وولده في نكبة البرامكة المعروفة، قال ولده: «يا أبتي! بعد العز صرنا في القيد والحبس»، فقال: «يا بني! دعوة المظلوم سرت بليل، غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها».

واجبنا تجاه شهادة الزور :

1- لا ينبغي أن نيأس {لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} (يوسف: 87)، والله سبحانه قادر على كل شيء، فاليأس داء قتال وعاقبته مريعة، وباليأس يُقتل الأمل، ويضيع الإيمان بأن الله تبارك وتعالى قضى في سننه أن الوضع سيتغير، وأن الظلم لا يطول وحتمًا سيزول، ولكنه سيمنحه لمن ييأس، ويمنعه على من دفعه.. فهلم إلينا لنتعاون معًا لدفع الظلم ومقاومة تزوير إرادتنا لننال حريتنا التي أمرنا ربنا بأن نطلبها ونعيش بها..

2- محاولة الإصلاح بكل الوسائل: {إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ} (هود:88) ما ضاع جهد سدًى، ونحن نؤمن بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وأن عناصر السلامة والإصلاح ما زالت حية في ضمير أمتنا وبلادنا، والله معنا ما زلنا نصلح ونقاوم الفساد، وسيأتي اليوم الذي يندحر فيه الفساد والظلم، وما هو ببعيد {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (6) وَنَرَاهُ قَرِيبًا} .

3- مقاومة الفساد والتزوير حسبة لله، واعتمادًا على فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هي ميزة هذه الأمة؛ فقد جاء في فضل من ينكر المنكر في آخر الزمان (إن من أمتي قومًا يعطون مثل أجور أولهم، ينكرون المنكر). (رواه أحمد وصححه الألباني).

من سبل التصدي ومقاومة التزوير:

قال الماوردي: «وهذه العلة المانعة من الظلم لا تخلو من أحد أربعة أشياء: إما عقل زاجر، أو دين حاجز، أو سلطان رادع، أو عجز صاد، فإذا تأملتها لم تجد خامسًا يقترن بها».

بالترغيب والتأديب تارة والترهيب والتهديد تارة عسى أن يرتدع:

التربية أولاً:

لو أن المجتمع الذي أصابه ما أصابه من المزورين؛ فطن إلى دوره الأساسي ألا وهو واد هذه الجريمة منذ نشأتها، واهتم بإخراج جيل ممن لا يعرفون الكذب والتدليس والمحاباة، وتزييف الحقائق، وفنون الغدر، وورثوا تراثنا النقي من الأخلاق الأساسية التي جبلنا الله تعالى وفطرنا عليها.. ليسعد الناس بها وليقم المجتمع الآن بدوره في صد كافة أشكال التزوير صغرت أم كبرت، وأن يقاومها بكل ما أوتي من قوة.

المقاطعة المجتمعية والعائلية:

ولعل شكل المقاطعة المجتمعية للمزور والعائلية كذلك تمثل حصارًا رادعًا للمزور، والمجتمع هو الذي سيسد الفراغ القانوني الرادع الذي كان بدوره سيجعل المجتمع يقاطع المزورين بأن يغيبوه ويحبس هو وجريمته، لكن على المجتمع سد هذا الفراغ بمقاطعة المزورين بكافة أشكال المقاطعة لتشكل حصارًا ضاغطًا عليهم؛ كي يرتدعوا، والباب مازال مشرعًا لنقترح سويًا شكل هذه المقاطعة، وشكل هذا الحصار، فعلى المتخصصين في مقاومة الجريمة وعلماء الاجتماع الجلوس على مثل هذه القضية، وأنا أرميها بملعبهم ردًا لأصل { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.

تشديد العقوبة الملاحقة القانونية:

لا يزال هذا معلقًا بإرادة المتحكم في أمر القانون والتشريع بالبلاد فإن رأى أن هناك إرادة مجتمعية وشعبية لمقاومة التزوير والمزورين فسيتحرك وإلا فسيبقي الأمر على ما هو عليه،

وعلى المنتفع من الوضع عدم اللجوء للتغيير ولا الإصلاح ولا حتى الحديث عن هذا الشيء وكل عام وانتم ....

قائمة سوداء..

كأحد الأساليب الجديدة التي تتسق وعقاب عمر بن الخطاب رضي مع المزورين والمتمثل في إعداد قائمة سوداء بأسماء المزورين ونشرها وصورهم ليحذرهم الناس، فلا يخالطوهم، ويطردونهم من منظومة المجتمع.. وهذا الأمر ليس مرهونًا بموافقة أو معارضة ممن تسلطوا على الأمر، واحتكروا وسائل الإعلام، فما زالت هناك وسائل إعلام ترفض الظلم تستطيع نشر هذه القائمة السوداء؛ لتمثل ورقة ضغط على المزورين وتردعهم.. فلنبدأ الآن ولترسل رسائل للمزورين..

احذروا القائمة السوداء.

احذروا عقاب المنتقم الجبار.

الله.. إن كنت لا تراه فهو يراك

قبل الشهادة احلف اليمين..:

ومن الأمور التي تخب أن يكسبها المجتمع لمخاطبة ما تبقى من ضمير المزورين قبل العملية الانتخابية ان ينتشلوا منهم قَسَمًا مغلظًا بانه لن يزور ،قسمًا ويمينًا مكتوبًا وموقعًا منه .

ولا بد من مناقشة طويلة حول الوسائل الرادعة لهذه الجريمة لوقف نزيف دم هذا الشعب المكلوم وإنهاء معاناته.. وحسبنا الله ونعم الوكيل..

رسائل خاصة إلى المزورين

شهادة الزور وأولادك:

إذا إراد الله إنفاذ شيء في أرضه أنفذه رغمًا عنا؛ فهو مالك الملك المتصرف في أمر هذا الكون وخالقه، وهو الذي يقول للشيء كن فيكون، كل هذه نعرفه ونؤمن به، لكن تعالى معي لنقترب سويًا من مشهد مخيف ومهيب.. هب أنك تناسيت عقاب الله الذي أعده للمزور في الآخرة لارتكابه كبيرة نهى الله عنها وحذر فاعلها من نكال وجرم ما فعل، وما ينتظره من عذاب أليم ومهين، لكن كيف تتناسى قدرة الله على بطشه بك، وعلى أولادك وأهلك، ومن تحب، وهو يعلم كل عزيز لديك وكل حبيب إليك.. وسيسوئك في هذا الحبيب وفي كل عزيز لعلك ترتدع وترد الحقوق.. وترد الحق إلى أهله.. ألا تخف أن تساء في خُلق أولادك وطبعهم، وإن نجوا من ذلك، فلعلهم يصابون في صحتهم، وإن إفلتهم لعلك تساء في سمعتهم؛ فإن أفلتهم، فلعل القدر يذهب بسعادتهم ويبدلها بشقاء، وإن وإن، ألا تخاف من بطش الجبار وسطوته وقدرته سبحانه على عباده.. اعلم أن الله أن أفلتهم لصلاح بهم أو لغير ذلك لا تفرح، فأنت صاحب الذنب والجريمة سيسوئك ويبتليهم وما أدراك.. لكني أحذرك القوي الجبار.. ألا تخشى على عيالك الذي ستسأل عنهم.. {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [النساء: 9] لا تصادر مستقبل أبنائك، وخف على نفسك وعليهم، وقل الحق، وتراجع عن التزوير وقوله وفعله..

ألا تخشى على نفسك وأهلك الفضيحة:

إذا كان عقاب الله لا يردعك والسجن والقانون لا يُرجعك، والعقاب لا يقنعك.. فاسمع معي إلى هذه المفاجأة الجديدة.. أن الناس اليوم قد يئسوا من المزورين كما يئس الكفار من أصحاب القبور، وجميع القوى الحية والمدافعة عن حقوق الناس أفرادًا كانوا أو جماعات قد أعدوا العدة لاتخاذ إجراءات صارمة لمواجهة المزورين بداية من تصويرهم وفضحهم في جميع وسائل الإعلام المتاح والواسع الذي جعل الدنيا كقرية صغيرة، سيسجلون سجلات تضم أسماء وصورًا وبيانات من تورطوا في عمليات تزوير الانتخابات، وغيّروا الحقائق، وسينشرون هذه القوائم عبر مؤسسات محلية ودولية، والأخطر أن بعضهم اقترح التجاوب مع مبادرات تنادي بها جمعيات مناضلة تطالب الدول الغربية وبعض الدول الآسيوية والأمريكية بمنع المزورين من دخول أراضيها أو التمتع بجنسياتها.. فهل بجرة قلم تصادر حق أبنائك في أن يعيشوا مستورين بين قرنائهم وزملائهم وأصدقائهم.. أبكل هذه القسوة تتجاهل مشاعرهم وتمضي في طريق التزوير والضلال والظلم والافساد والتزوير ومعاونة الظلم وأهله..

قد تكون هذه المبادرات صادمة إذ ذكرتها في رسالتي لكن.. لا أرى شيئًا يردعك، وقد ساءت الأوضاع بكل ألوانها، وأنت ترى وتسمع وتشاهد وتعاين وتعيش معنا.. فارجع....

لقد أسمعتَ لو ناديت حيًا ......

شهادة الزور ومجتمعك وأمتك:

ألا ترى معي ما وصل له الحال بالناس من دمار وفساد وفشل في كل ميدان، وحتى في أبسط مقومات الحياة.. وما هذا المجتمع الذي نعيش فيه إلا حلقة متصلة من هذا البناء الشامخ لأمتنا التي يربط أواصرها هذه اللغة وهذا الدين، وتجعلها أمة ناهضة بين الأمم أو تطمح إلى ذلك..

إن هذه الأحلام التي تهوي على صخرة الواقع تؤلمك كما تؤلم أبناء الأمة بأسرها، إن هذه الأمة التي أمرها ربها بأن تكون رائدة للأمم لن تنهض حتى تنهض وحدات بنائها من تلك الأمصار.. ولن تستنقذ تلك الأمصار نفسها من هذه الكبوة حتى يتحرر أبناؤها من هذا الوحل وهذا الدمار الأخلاقي الذي أصبح سمة لها، فالمزورون هم من وحلوا حياتنا ووصموها بكل عار.. وجعلوا أممًا كنا ننعتهم بأنها أرازل الأمم نخشى اليوم أن نرفع أعيننا في أعينهم وقد تقدموا وطهّروا أنفسهم من دنس التزوير والمزورين، دونما نص من قرآن، فهم لا يملكون هذا الكنز، وإن نفذوا روحه فسعدوا، ولا يملكون نصًا من نبي كريم لا ينطق عن الهوى، لكنهم طبقوا تعاليمه؛ فنهضوا، فما بالنا نملك الكتاب ونؤمن بحامل مشعل الهداية في الكون ونضل عنه، ونتركه فنشقى ونُستعبَد بشهادة زور من جاهل باع أمته ودينه بقروش ودراهم معدودة لفرد أو عصابة مستبدة زوَّجت رأس المال بالسلطة؛ ليفرخوا الظلم في قصور الفساد..

لذا ولهذه الأسباب وغيرها، هل لنا أن نعرف حجم جريمتنا إذا نحن زورنا انتخابات وشهادات وولايات وحقوق فآلت إلى المفسدين والمستبدين والظالمين الذين أفسدوا حياة الأمة والناس، وغيبوا العدل والرحمة عن الدنيا.. تخب عليك أن تراجع نفسك قبل أن تقدم على هذه الجريمة..

إن عمليات التزوير التي رافقت جميع الانتخابات السابقة، ولدت خيبة أمل، وحالة يأس من الإصلاح عند الجماهير، وانتجت ردة فعل سلبية من المشاركة في عمليات التغيير والإصلاح، ومقاومة هذا الاستبداد وهذا الظلم في شتى أقطار الأمة، والعكوف عن المشاركة في كل محاولات ومواسم ذلك كالانتخابات. والسؤال عن جدوى المساهمة فيها والتشكيك في نتائجها وجدواها، وأظن أن هذا الأمر يهدف إلى تيئيس أفراد المجتمع من كل محاولات الإصلاح وفرص التغيير أو عودة الثقة بين أفراده ومؤسساته. ويبدو أن مجرمي تزوير إرادة المواطنين وتزييفها، لا يزالون يصرون على تكرار مشاهد الانتهاك العظيم والجريمة الكبرى بتزييف إرادة الجماهير بالإفساد والتزوير، مطلقين على الفعل المشين الذي ينوون الإقدام عليه بـ (تقنيات الانتخابات) أو (ضمانات النزاهة والشفافية).

و من صور وأشكال من شهادة الزور:

وتعالى معي لنعدد صورًا مما يدخل في شهادة الزور، والتي أغلبها مما يميزها الناس وتظهر بأشكالها المتكررة، لكن لا بد هنا من التنويه عنها في بحثنا، وإن كان التزوير سيّدها وبابها الأكبر، لكنها كلها جرائم يعاقب الشرع فاعلها، ويحاسبه يوم القيامة على ما اقتطع بها

من حقوق العباد: فالقول في دين الله بغير الحق؛ صدًا عن سبيل الله، وإضلالاً للناس من قول الزور.. وسرعة إطلاق الحكم على الأشياء والأشخاص دون بينة من قول الزور.. ويدخل في شهادة الزور قومٌ يكتمون الحق مع علمهم به ... بل يُظهرون ما هو باطل... من قول الزور والشهادة على أحد بدون علم أو بالباطل بدافع حسد أو عداوة ونقل كلام دون التحقق منه.. من قول الزور.وتزكية الإنسان بما ليس أهله من قول الزور؛ لأن التزكية شهادة؛ فإن كانت بخلاف الواقع كان المُزكي شاهد زور... والمبالغة بألقاب باطلة لاقتطاع حق بالتضخيم ونحوه.. من قول الزور؛ حيث إنه إسناد للأمر إلى غير أهله، وتضييع للأمانة. وتزكية الإنسان نفسه بما ليس فيه؛ لاقتطاع حق هو بلا شك من قول الزور..

و من أشهر مظاهر الزور...

ولما تنوعت صور شهادة الزور في عصرنا تنوعًا كبيرًا، نتيجة للحياة المادية القاحلة التي انغمس في أتونها كثير من الناس، فسنشير هنا لأشهر مظاهر الزور بمعناه المهم، سواء منها ما هو معروف من قديم أو ما ظهر في أيامنا هذه وعمت بلواه .

وصف المفسدين بالصلاح :

إن وصف المفسد بالصلاح خيانة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين. وهو عمل يستوجب غضب الله عز وجل على فاعله؛ لأنه لون من قول الزور، فعن بريدة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن يك سيدًا؛ فقد أسخطتم ربكم عز وجل» (رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد).

وصف الصالحين بالإجرام :

يحلو لبعض شياطين الإنس أن يصفوا الصالحين بالإجرام والإفساد، كما كان يشيع فرعون عن موسى عليه السلام: {إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ} (غافر:26).

وقد حكى القرآن الكريم صورة تتكرر في كل عصر؛ حيث قال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} (المطففين: 29- 36).

التفاخر بالكذب:

يحلو لبعض الناس أن يفخر على غيره ولو باختلاق أمور لم تحدث؛ سعيًا للذكر والشهرة، وجذبًا لثناء الناس عليه، وهذا من قول الزور الذى ينبغى الإمساك عنه، فعَنْ أَسْمَاءَ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي ضَرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي بِغَيْرِ الَّذِي يُعْطِينِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ). [متفق عليه].

قلب الحقائق:

جاء في الحديث الشريف: «سياتي على الناس سنوات خداعات، يُصدق فيها الكاذب، ويُكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويُخوّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل وما الرويبضة؟ قال الرجل التافه في أمر العامة (رواه ابن ماجه، والحاكم (8439) وقال: صحيح الإسناد) ولعل أبرز الصور التي تجدها في ملحقات الظالمين وأعوانهن في أجهزة إعلام مضللة

ومزورة لرأي العامة ليميلوا عن الحق؛ تشويهًا للمصلحين وتجميلاً للمفسدين. وعونا لهم لالتهام حقو ق الناس .

رسائل مفتوحة إلى المزور:

رسالة إلى المزور :

أيها المزور الحبيب، ما أسطره لك على هذه الصفحات لم يكن إلا لدعوتك إلى التمسك بالحق إن شاء الله، وإن الذكرى تنفع المؤمنين، وإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، ومن أبكاك فربما يبكي عليك أحيانًا، لقد بان الصبح لكل ذي عينين، وظهرت كثير من الحقائق وانكشفت كثير من خبايا الأمور، ورائد القوم لا يكذبهم.

ألم يأن لك أن تتحلل من عرض أناس باعوا نفوسهم لله؛ فشتمتهم واستطلت في أعراضهم؟ ومكّنت عدوهم منهم وصددت جهودهم للإصلاح امام المفسدين، ألم يأن لك أن تبذل ما في وسعك وطاقتك لكي تسترضي هؤلاء الذين طعنت فيهم، ونلت منهم بغير حق، وقلت فيهم منكرًا من القول وزورًا؟ والله- تعالى- يقول: {وإذا قلتم فاعدلوا}.

إنني نذير لك بين يدي الله، ومبتغ لك الخير عند الله أن تدع عنك نزغات الشيطان، فتمسك بنفحة من الرحمن، فانتهِ عن غيك، وارجع إلى صديقك وأخيك ومجتمعك الذي يحتاج إلى أن تفتح معه صفحة جديدة بلا زور ولا معاونة للباطل، اليوم تقدر أن تتحلل من الظلم الذي أحللته بهم، قبل أن تصل إلى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وقبل أن تاتي إلى يوم يؤخذ فيه من حسناتك ويطرح من سيئات من وقعت في أعراضهم وحقوقهم

عليك، فتعود مفلسًا، وكنت تحسب نفسك غنيًا، وتحسب أنك على شيء؛ فإن لم تفعل فقد كتمت شهادة حق والله- تعالى- يقول: { وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ } [البقرة: 283].

وأصررت على قول الزور والله- تعالى- يقول: { وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ }. ولا تشهد على الظلم ولا على الجور، كما علمنا رسول الله- صلى الله عليه وسلم - ، فقد جاء في الحديث عن النعمان بن بشير- رضي الله عنهما- قال: سألتْ أمي أبي بعض الموهبة لي من ماله، ثم بدا له فوهبها لي فقالت: لا أرضى حتى تُشهد النبي- صلى الله عليه وسلم - ، فأخذ بيدي وأنا غلام فأتى بي النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: إن أمه بنت رواحة سألتني بعض الموهبة لهذا. قال: ألك ولد سواه؟ قال: نعم. قال فأراه قال: لا تُشهدني على جور». رواه مسلم. وقال أبو حريز عن الشعبي: «لا أشهد على جور».

وعن زيد بن خالد الجهني أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: «ألا أخبركم بخير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها» رواه مسلم.

الظلم والتزوير

قد يتبادر إلى ذهن البعض أن التزوير ليس له ارتباط مباشر بالظلم، لكن هذا مغاير لحقيقة الاثنين. فإن كان الظلم هو الانتقاص من حقوق العباد بدون وجه حق ومجاوزة الحد في ذلك بالطغيان كأشد أشد صور الظلم المتعددة؛ فإن التزوير لا يعدو إلا أن يكون صورة من أقسى أنواع الظلم؛ لأن التزوير ظلم قد لا يُمحى أثره.. فلو ظلم الإنسان غيره في حق من مال أو أرض

أو متاع؛ فإنه لا تزال لديه الفرصة كي يرد هذا الظلم برده لهذا الحق ما رمقت روحه وبقي له في الدنيا نَفَس.. لكن هذه الحالة التي لدينا معقدة؛ لأنها تحوي جوانب عديدة من الغموض واللبس عند فاعلها؛ حيث إنه لا يدري عظم جرمها، ولا ما تعادل من الكبائر والآثام، وأنها بقدر ما تأخذ من حقوق العباد؛ بقدر ما تبعده عن رحمة الله وقبول توبته، فكما قرر علماء الشرع قديمًا وحديثًا مستدلين بالقرآن وصحيح السنة بأنه لا يقبل الله التوبة في حقوق العباد حتى يعفو العباد، وهو أمر قد يستحيل؛ بسبب كونه في حالة تزوير انتخابات عامة كما أسلفنا.. ومن اللبس والغموض أيضًا أن التزوير هو ظلم للعباد؛ لأن تزوير الانتخابات والاقتراعات وتغيير آراء الناس وأصواتهم وتبديلها وجعل الحق ينتقل بهذا الفعل لغير أصحابه؛ يؤدي إلى ظلم من له الحق، ويظلم من انتقل إليه هذا الحق من منصب أو سلطة أو مسئولية أو مال لأنك وسَّدت أي أحلت ونقلت الأمر لغير أهله؛ فخنت الله ورسوله والملائكة والناس أجمعين.. وهي أشد خيانة. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «من ولي من أمر المسلمين شيئًا؛ فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله». وفي رواية «من قلد رجلاً عملاً على عصابة، وهو يجد في تلك العصابة أرضى منه؛ فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين». وقال عمر بن الخطاب: «من ولي من أمر المسلمين شيئًا؛ فولى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمسلمين». وقال عمر كذلك: «من استعمل فاجرًا، وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله». وعند البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيره لتضييع الأمانة: «إذا وُسد الأمر إلى غير أهله؛ فانتظر

الساعة». قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره لأجل قرابة بينهما، أو ولاء عتاقة، أو صداقة، أو موافقة في بلد أو مذهب أو طريقة أو جنس، كالعربية والفارسية والتركية والرومية، أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة أو غير ذلك من الأسباب، أو لضغن في قلبه على الأحق، أو عداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، ودخل فيما نهي عنه في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } [الأنفال27]» [السياسة الشرعية 17- 18].

وقال ابن القيم: «...إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدلٌ كلها ورحمةٌ كلها وحكمةٌ كلها، وكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه».

لذا لا بد من أن نمر على الظلم ومفرداته وعناصره:

معنى الظلم والعدل:

الظلم أصله الجور، ومجاوزة الحد، ومعناه الشرعي وضع الشيء في غير موضعه الشرعي.

والعدل هو وضع الشيء في موضعه الشرعي، وإعطاء كل شيء حقه من المكانة أو المنزلة أو الحكم أو العطاء.

الموقف القرآني من الظلم:

في القرآن الكريم آيات كثيرة صريحة في تحريم الظلم بذكر اسمه، وآيات كثيرة في تحريم الظلم بصورة غير مباشرة، وذلك بالأمر بالعدل؛ لأن الأمر بالعدل نهي عن الظلم، فمن ذلك قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ.. }، فهذا أمر مطلق بالعدل بكل ما هو عدل وفي كل ما يُعدل فيه، ولكل إنسان؛ فلا يجوز ظلمه، ولو كان كافرًا أو ظالمًا، وقد جاء في الحديث القدسي، الذي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه: «يا عبادي، إني حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا». رواه مسلم.

من آثار الظلم .. خراب البلاد:

ومن آثار الظلم أن الله يعجل به إهلاك الدول، وخراب البلاد اقتصاديًا وعمرانيًا؛ إذ بالظلم يزهد الناس في العمل والإنتاج لعدم شعورهم بثمرة كدهم، فيسعوا دائمًا للفرار والخروج من هذه الأوطان، وكل هذا يؤثر في قوة الدولة اقتصاديًا وعسكريًا، ويقلل مواردها المالية التي كان يمكن أن تنفقها على إعداد قوتها في مختلف المجالات، مما يجعل الدولة ضعيفة أمام أعدائها الخارجيين، وإن بقيت قوية طاغية على مواطنيها الضعفاء المساكين المظلومين.... وكل هذا يؤدي إلى إغراء أعدائها من الدول القوية لتتهجم عليها، وتستولي على مقدراتها، وتنهب ثرواتها؛ مما يكون سببًا في تعجيل هلاكها. وقد أشار علماؤنا رحمهم الله تعالى إلى أثر الظلم في خراب البلاد، ففي تفسير الآلوسي: «وروي عن ابن عباس رضي الله

عنهما أنه قال: أجد في كتاب الله تعالى أن الظلم يخرب البيوت، وقرا قوله تعالى: {فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون}.

سنة الله تعالى في الظلم والظالمين:

سنة الله مطردة في إهلاك الأمم الظالمة، قال تعالى: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ * وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: 100- 102].

فقوله تعالى: { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ } اي ان عذاب الله ليس بمقتصر على من تقدم من الأمم الظالمة، بل إن سنته تعالى في اخذ كل الظالمين سُنةٌ واحدة، فكل من شارك أولئك المتقدمين في افعالهم التي ادت إلى هلاكهم؛ فلا بد أن يناله ذلك الأخذ الأليم والعذاب الشديد، فالآية تحذير من وخامة الظلم، فلا يغتر الظالم بالإمهال!!!

تبقى الدولة العادلة مع الكفر، ولا تبقى المؤمنة مع الظلم:

قال تعالى: { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ } إن الدولة الكافرة قد تكون عادلة بمعنى أن حُكامها لا يظلمون الناس، والناس انفسهم لا يتظالمون فيما بينهم، فهذه الدولة مع كفرها تبقى؛ إذ ليس من سنته تعالى إهلاك الدولة لمجرد الكفر فهو تعالى يرزق الكافرين، ولا ينصر الدولة التي يظلم حكامها الرعية، ويتظالم الناس فيما بينهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله في مجموع الفتاوى (28/63): «اللَّهُ يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً، وَلَا يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً».

عقوبة الظالم في الدنيا:

والغالب أن الظالم – على حسب سنة الله في الظلم والظالمين- يُعاقب في الدنيا على ظلمه للغير، ويدل على ذلك حديث رسول الله صلى الله الذي أخرجه أبو داود: «ما من ذنب أجدر أن يُعجل الله تعالى لصحابه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة مثل: البغي وقطيعة الرحم». ولكن من سنة الله تعالى أيضًا إمهال الظالم، ولكن دون إهماله. وقد يكون في عدم تعجيل عقوبته في الدنيا لحكمة يعلمها الله، ولا نعلمها مثل استدراجه، أو لكون المظلوم قد ظلم غيره وما حل فيه من ظلم فهو جزاء ظلمه لغيره، أو لعلم الله بصلاح هذا الظالم مستقبلاً، وتوبته توبة نصوحًا، وتحلله من ظلمه، أو لغير ذلك من موانع تعجيل العقوبة على الظالم...

من عقاب الظالم تسليط ظالم عليه:

من سنة الله تعالى في الظلم والظالمين أن الرعية الظالمة، أي التي يتظالم أفرادها فيما بينهم يُولّى عليها حاكم ظالم، يكون تسلطه عليهم من العقاب لهم على ظلمهم، قال تعالى: {وكذلك نولي بعض الظالمين بعضًا بما كانوا يكسبون}. ويدخل في الآية جميع من يظلم نفسه أو يظلم الرعية، أو التاجر يظلم الناس في تجارته.

وصدق الشاعر: وما من يد إلا يد الله فوقها وما من ظالم الا سيُبلى بأظلم

لا يفلح الظالمون:

ومن سنته تعالى في الظلم والظالمين أنهم لا يفلحون، ولا يفوزون في الدنيا، كما أنهم لا يفلحون ولا يفوزون في الآخرة قال تعالى: {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}، وهذا خطاب من الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول للمصرّين على كفرهم ما هو مذكور في الآية، وهو تهديد شديد ووعيد أكيد، أي استمروا في طريقتكم وناحيتكم، إن كنتم تظنون أنكم على هدًى، فأنا مستمر على طريقتي ومنهجي، فسوف تعلمون بعد حين من تكون له العاقبة الحسنى في هذه الدار.

هلاك الأمم الظالمة له أجل محدود:

وهلاك الأمم الظالمة له أجل محدود، بمعنى أن بقاء الأمة الظالمة بقاء محدود المدة، إذا انقضت هذه المدة جاء أجلها، قال تعالى: { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } [الأعراف: 34]، قال الآلوسي في هذه الآية «ولكل أمة أجل»، أي لكل أمة من الأمم الهالكة أجل، أي وقت معين مضروب لاستئصالهم، ولكن هلاك الأمم وإن كان شيئًا مؤكدًا، ولكن وقت حلوله مجهول لنا.

سبل وقاية الأمة من عقوبة الظلم:

1- الإنكار على الظالم:

روى الترمذي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: « يا أيُها الناس، إنكم تقرؤونَ هذه الآية وتضَعونها على غير موضعِها، {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفُسكُم لا يضرُكم من ضلَّ إذا اهتديتم} [المائدة : الآية 105]، وإنما سمعنا رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يَديه، أوشكَ أن يَعُمَّهُم الله بعقاب» [أبو داود (4338) ، والترمذي (2168)، وقال: صحيح].

2- عدم الاستكانة للظالم:

رفض الظلم، وعدم الاستكانة للظالم والانتصار منه، كل ذلك مما تخب أن يتربى عليه الفرد المسلم؛ لأنه شيء ضروري لتكوين شخصيته الإسلامية، ومن مقوماتها الأساسية ومن الصفات الأصلية للمسلم قال تعالى: {والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون} وفي تفسير القرطبي في هذه الآية: «أي إذا نالهم ظلم من ظالم لم يستسلموا لظلمه».

3- عدم الركون إلى الذين ظلموا:

ومن سبل الوقاية من وقوع الظلم أو شيوعه عدم الركون إلى الذين ظلموا، لاسيما الحكام الظلمة؛ لأنهم لا يرتكبون المظالم إلا بأعوانهم، وبسكوت أهل الحق عنهم أو بركونهم إليهم، قال تعالى محذرًا من الركون إلى الذين ظلموا: { وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ}. [هود: 113]. قال

الزمخشري في تفسيرها: «... والنهي متناول للانحطاط في هواهم، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم، ومجالستهم، وزيارتهم ومداهنتهم، والرضا بأعمالهم، والتشبه بهم، وذكرهم بما فيه تعظيمًا لهم.

4- لا يُعان الظالم على ظلمه:

أعوان الظالم ظلمةٌ مثله، فلا تجوز إعانة الظالم؛ لأن الحاكم الظالم إنما يتمكن من ظلمه بمعاونة أعوانه وأتباعه، وليس بنفسه فقط. ولهذا إذا نزل العذاب بالحاكم الظالم نزل بأعوانه أيضًا؛ لأنهم مثله ظالمون كما حصل لفرعون وأعوانه قال تعالى: {إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين}، فالله تعالى جمعهم بوصف الخطيئة، ومن خطيئتهم: الظلم الذي كان يقترفه فرعون، ويعاونه عليه هامان وجنودهما، فلما نزل العذاب بفرعون نزل بأعوانه.

5- لا يُعان الظالم على بقائه:

ولا يُعان الظالم على بقائه في مركزه الذي يمكّنه على الظلم، ولا يُدعى له بالبقاء؛ لأن في بقائه استمرارًا لظلمه، جاء في الحديث النبوي الشريف: «من دعا لظالم بالبقاء؛ فقد أحب أن يُعصى الله في أرضه».

وسئل الإمام سفيان الثوري عن ظالم أشرف على الهلاك في برية، هل يسقى شربة ماء؟ فقال: لا. فقيل له: يموت ؟ فقال: دعه يموت.

6- عدم المحاباة في تطبيق القانون:

تطبيق القانون على الجميع بالسوية، وبدون محاباة؛ يبعث الطمانينة في النفوس، ويجعل الضعيف المحق يوقن بانه في مأمن من ظلم القوي، فإذا اختل هذا الوضع فلم يطبق القانون على الجميع، وأخذت المحاباة تفعل فعلها، وهي التي يأخذ بها الحاكم، كان ذلك من الظلم الذي تباشره الدولة، أن تعين على وقوعه أو تسكت عنه فلا تمنعه، فتتلبس الدولة بالظلم؛ فيقوم فيها سبب الهلاك فتهلك. فقد جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري: «... فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف؛ أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها... ». وأخيرًا: توبة الظالم وهل تدفع عنه عقوبة الآخرة؟: من المعلوم أن الظلم معصية، وأن الظالم إذا لم يتب من ظلمه عُوقب عليه في الآخرة، وأنه إذا تاب توبة نصوحًا مقبولة فتوبته تسقط عنه عقوبة ظلمه، ولكن إذا كان ظلمه يتعلق بحقوق الناس، كما لو قتل غيره ظلمًا أن وآذاه في بدنه بغير القتل، أو غصبه حقًا له ثم تاب، فهل تسقط توبته عقوبة ظلمه هذا في الآخرة؟ قال ابن تيمية: «إن التوبة المجردة تسقط حق الله من العقاب، وأما حق المظلوم؛ فلا يسقط بمجرد التوبة، فمن تاب من ظلم لم يسقط بتوبته حق المظلوم، لكن من تمام توبته أن يعوضه بمثل مظلمته، وإن لم يعوضه في الدنيا؛ فلا بد له من العوض في الآخرة، فينبغي للظالم التائب أن يستكثر من الحسنات

حتى إذا استوفى المظلومون حقوقهم لم يبق مفلسًا، ومع هذا فإذا شاء الله تعالى أن يعوض المظلوم من عنده فلا رادّ لفضله، كما إذا شاء أن يغفر ما دون الشرك لمن يشاء».

التحذير من مظالم العباد

ظلم العبد لغيره من العباد هو أغلظ أنواع الظلم بعد الشرك بالله، وأعظمه إثمًا، وأسوأه عاقبة، ولا يمكن الخروج منه والتخلص من شؤمه وإثمه بمجرد الإقلاع والندم، بل لا بد من استحلال صاحبه، ورد حقه إليه. ومَن الذي يضمن لنفسه أن يُحِلّه المظلوم ويبيحه، إذا استحله واستباحه؟! فنسأل الله- تعالى- أن يعيذنا من ظلم العباد، وألا يجعلنا في القوم الظالمين.

قال سفيان الثوري- رحمه الله - : «إن لقيت الله- تعالى- بسبعين ذنبًا فيما بينك وبين الله- تعالى - ؛ أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد». وذكر عن أبي بكر الوراق أنه قال: «أكثر ما ينزع الإيمان من القلب: ظلمُ العباد». وقال ابن القيم- رحمه الله - : «والظلم عند الله- عز وجل- يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وهو الشرك به، فإن الله لا يغفر أن يُشْرَك به. وديوان لا يترك الله- تعالى- منه شيئًا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا، فإن الله- تعالى- يستوفيه كله. وديوان لا يعبأ الله به شيئًا، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه- عز وجل - ، فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوًا، فإنه يُمحى بالتوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفِّرة، ونحو ذلك. بخلاف ديوان الشرك؛ فإنه لا يُمحى إلا بالتوحيد. وديوان المظالم لا يُمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها». وما ذكره ابن القيم- رحمه الله- هو معنى حديث عائشة-

رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم - : «الدواوين ثلاثة: فديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وديوان لا يعبأ الله به شيئًا، وديوان لا يترك الله منه شيئًا، فأما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئًا: فالإشراك بالله- عز وجل - ، قال الله- عز وجل - : {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [النساء: 48]. وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئًا قط: فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئًا: فمظالم العباد بينهم، القصاص لا محالة». [أخرجه أحمد (26073)، والحاكم (8717) وقال: صحيح الإسناد]. وقد حذَّر الله عباده من الظلم والتظالم، فقال في الحديث القدسي: «يا عبادي، إني حرَّمْت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا؛ فلا تظالموا».[رواه مسلم]. فلا يباح لأحد كائنًا من كان أن يظلم عباد الله، ويؤذيهم ويضارهم، ويتجنى عليهم، ويعتدي على مصالحهم، وينتهك محارمهم. كما لا يجوز له أن يمنعهم حقوقهم، ويبخسهم أشياءهم، ويقصِّر فيما يجب عليه تجاههم، فإن الخلق خلق الله، وأحبهم إليه أنفعهم لهم، وخير الناس أقومهم بمصالح الناس. وقد أوجب الله على المؤمنين أن يكونوا إخوة متحابين، متراحمين متكاتفين، متواصلين متعاطفين، بل قال النبي- صلى الله عليه وسلم - : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[متفق عليه]. فإذا كان المؤمن لا يكمل إيمانه الكمال الواجب، ولا تبرأ ذمته حتى يحب لإخوانه ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويعاملهم بمثل الذي يحب أن يعاملوه به، فكيف يجوز له ظلمهم، ومنعهم حقوقهم، وأذيتهم والبغي عليهم، والتعدي على أبدانهم أو أعراضهم أو أموالهم؟!

فعن جابر رضي الله عنه قال: «لما رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرة البحر؛ قال: ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟ قال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينا نحن جلوس، مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قُلّة من ماء، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها؛ فخرت على ركبتيها، فانكسرت قُلتها، فلما ارتفعت التفتتْ إليه، فقالت: سوف تعلم يا غُدَر إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدقت صدقت، كيف يُقَدِّس الله أمةً لا يُؤخذ لضعيفهم من شديدهم غير مُتَعْتَع».[ابن ماجه 4000 وحسنه الألباني].

و من سبل الوقاية من الظلم نشر مثل هذه الرسائل والكتب:

استبان للقاصي والداني والقريب والبعيد أننا معاشر الشعوب مظلومون من أنظمة مستبدة فاسدة ظالمة، ويعلم الجميع وجوب نصرة المظلوم؛ فالظالم لا يرتدع ولا ينقمع إلا إذا أدرك أن من يريد ظلمه محمي عزيز المنال. ففي دين الإسلام لا يجوز خذلان المسلم، فكيف إذا كان مظلومًا: «فالمسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله ولا يُسلِمه» رواه مسلم، وعند البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننصر المظلوم»، وفي الحديث الآخر: « إذا رأيتَ أمتي تهابُ الظالمَ أن تقولَ له: إنك ظالمٌ، فقد تُوُدِّعَ منهم» [أخرجه أحمد (6784) ، والحاكم (7036) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي]. وقال المناوي في فيض القدير (454/1) : وقوله «(فقد تُوُدِّع منهم) أي استوى وجودهم وعدمهم».

لذلك كله فإن من سبل دفع الظلم نشر الحق وبثه وتعليمه، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. أيها الأحبة: لقد أُعطي المظلوم حق الجهر بالسوء من القول انتصارًا لنفسه وإثباتا لحقه، وتثبيتًا لعزته، فالظالم لا حرمة له: {لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ} [النساء: 148]، وتاملوا رحمكم الله هذه الآيات من سورة الشورى، وما أعده الله من خير عظيم دائم لمن تحلوا بهذه الصفات قال سبحانه: {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ❖ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ❖ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} [الشورى:39- 41].

ولعلك تجد -رحمني الله وإياك - أن العفو والصفح ممدوح، ولكن ذلك بعد ثبوت الحق لصاحبه، فيجب أن يعرف المعتدي جريرته، ويعترف الظالم بظلمه؛ فيكون المظلوم قد نزل عن حقه بعد القدرة على أخذه. إن في نصرة المظلوم ومساعدته حتى يأخذ حقه، والأخذ على يد الظالم حتى يكف عن تعديه؛ حفظٌ لنظام المجتمع، وحمايةٌ الضعفاء من تسلط الأقوياء، والإنسان إذا أمن العقوبة مال إلى الشر وتجاسر على الظلم. واحذروا جيوش الصامتين (الكتلة الصامتة) أو(القوة الصامتة) من أن تكونوا من الذين يشهدون المعركة بين القوي والضعيف، ثم يدعونها تنتهي حسب قوانين الغاب، وشرائع الذئاب من غير معونة ولا نكير؛ فهؤلاء شركاء في الظلم أعوانًا للظلمة، يقول ميمون بن مهران: الظالم والمعين على الظلم والمحب له سواء. وفي الحديث يقول صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يخذل امرأ مسلمًا في موضع تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه عرضه، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته،

وما من امرئٍ ينصر مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه، وتنتهك فيه حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته» [أخرجه احمد (16368) وابو داود (4886)]. وليتذكر قول الله تعالى: { وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ❁ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ❁ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ❁ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ❁ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ } [إبراهيم:42- 46].

هل تعلم عن أي شيء أتحدث؟!

الكل يتحدث عن شهادة الزور، وخطرها العظيم، وإثمها الجسيم، وأثرها الذي لا يُمحى شره، ولا يتقى ما خلّف من كوارث ومصائب على من طالته شهادة زور؛ فاقتطعت من حقه في دنيا أو في دين، لكنني اتحدث في أمرٍ اظنه كارثة الكوارث وطامة عظيمة وهي: التزوير العام، وهو شهادة الزور من العيار الثقيل، وهي التي يتم بها اقتطاع حق العامة لتئول إلى خاصة بدون وجه حق؛ بناءً لباطل وهدمًا لحق، كتسهيل الحصول على حق من مال، أو تملك أو سلطة، أو منصب، أو حوزه دون وجه حق منتفعًا من ورائه أو غير منتفع، وقد استبان له الحق في ذلك من الباطل..

وكي يتضح الأمر نرى هذا النموذج الذي يقع في ذهن الناس عند الحديث عن شاهد الزور، وهو تلك الصورة التقليدية.. رجل بباب المحاكم ينظر المتخاصمين ليعقد صفقة من المال مع من يريد الشهادة المغايرة للحق والصواب؛ ليشهد بحق لغير صاحبه إثباتًا له أو نفيًا، كما يريد صاحب الصفقة بشهادة الزور، ثم يدخل على القاضي ليتبارى في حلف اليمن بإتقان المتدرب وليرتكب جريمة في حقه وفي حق صاحب الحق، ثم لينصرف بجرمه.. ليست هذه الصورة ما أقصد !! إن هذه الصورة المصغرة، مع جرمها وتغليظ الشرع عقوبة فاعلها استنادًا إلى ما ضيعه من حقوق غيره، وما أرساه من باطل، من شروط التوبة منها أن يُرجع الحق لأهله، ويثبت الحق لهم، ويعدل الميزان في محل شهادته.. وهو شرط قضاه العدل سبحانه وتعالى على نفسه حين قدَّم حق العباد على حقوقه تبارك وتعالى.. فهيهات هيهات أن تخد لذلك سبيلاً.. فما بالك بشهادة زور.. تطير منها العقول، وتنخلع لها القلوب، تلك التي يجُرم صاحبها في حق العامة؛ فيزور ويغيّر ويبدل الأمور على غير حقيقتها، مع ما يترتب على ذلك من نقل حق العامة زورًا إلى الخاصة أفرادًا كانوا أو جماعات..

هذا ما أقصد !!

بعيدًا عن توصيف المرحلة التي يمر بها الناس، وديباجات الكُتَّاب المتمرسين في الكتابة والتاليف عن الظلم الذى يعيشه الناس حتى في أبسط حقوقهم إلى أكبرها، بل – إن شئت– فقل في كل حقوقهم المسلوبة، فإني لا أعدو أن أكون أحد المدونين المبتدئين في فن أحببته، واحد الذين كلفوا أنفسهم عناء المشاركة في الرصد والمتابعة. وأريد أن أطلع القارئ الكريم

على هدفي من هذا البحث، وبكل تجرد ودون خوف او وجل، أؤكد للقارئ.. ان الباعث الحقيقي لكتابة هذا البحث أو هذه الرسالة هي الإحساس بالمسئولية، والمشاركة في دفع الظلم الذي حل بعامة الناس العاجزين البائسين من صلاح الحال، وتغير المقام، والقيام بعبء النصح لعامة الأمة، أفرادًا وجماعات، حكامًا ومحكومين أصحاب سلطة أو نفوذ أو مصلحة، ولكل من يعيش على أرض الله، أملاً بأن يقبل الله تعالى هذا العمل المتواضع الذي أتعبد به إليه؛ إظهارًا للحق، وإبطالاً للباطل، وتمييزًا بينهما، ولعل هذه الرسالة أن تكون لبنة في بناء الحق حتى يظهره الله تعالى. عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خذوا العطاء ما دام عطاءً، وإذا صار رشوة على الدين؛ فلا تأخذوه، ولستم بتاركيه يمنعكم الفقر والحاجة، ألا إن رحى الإسلام دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب، ألا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم، إن عصيتموهم قتلوكم، وإن أطعتموهم أضلوكم، قالوا يا رسول الله كيف نصنع؟ قال: كما صنع أصحاب عيسى ابن مريم نُشروا بالمناشير، وحملوا على الخشب، موت فى طاعة الله خير من حياة فى معصية الله»(اخرجه الطبراني (172) ووثقه ابن حبان وغيره) . ودوراننا مع الحق بإصلاح ما أفسده المفسدون في الأرض، وفضح مؤامراتهم، ومخططاتهم في محاولات تيئيس جماهير المجتمع المنهك والمتعب لوأد أفكار التغيير ورؤى الإصلاح التي يتطلع إليه المجتمع لانتزاع حقوقهم ورد الظلم عنهم.

وذلك عبر إظهار الوجوه الحقيقية للأفعال التي يقترفها الناس في حق أنفسهم، ولا يشعرون بجرمها، وأنها من كبائر الآثام. وبيان حقيقة الذنب ليتضح للمجرم إجرامه، وللمسيئ إساءته، وليفطن كلٌ إلى جرمه؛ مطلب شرعي مهم.

محذرًا من هؤلاء...

أحذر من هؤلاء الذين يقبعون خلف موائد الطغاة يلتمسون مواطن الفتات، وأماكن سقوطها؛ يتفنون في تزيين الظلم وتلبيسه ثوب الحق، ويدافعون عن الظلم، ويفلسفون اعتداءاته الدورية والدائمة على حقوق الناس، ويقفون حائط صد بينهم وبينه؛ درءًا لبأسهم، وأن تطاله يد المظلومين، فيتلقون عن الظالم الضربات ويفدونه من كل الكبوات، ويتفننون في نصره في جميع الجولات، مسجلين في الدنيا انتصارات، وفي الآخرة ظلمات وظلمات..ويتفنون في التعبير عن ذلك بأبرع الطرق والوسائل؛ لتثبيت أنفسهم ضمن بطانة السوء، وكصفر ثانٍ للظالمين، وطابور خامس بين الضحايا من أبناء أمتهم؛ ذلك لأنهم باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، وسلّموا ضمائرهم للشيطان، ونسوا الله والحساب والعقاب والجنة والنار {نسوا الله فانساهم أنفسهم}. محذرًا من هؤلاء الذين يأكلون معنا ويشربون، ونجالسهم ونعاشرهم، ونقيم معهم صنوف العلائق الاجتماعة المختلفة؛ نشاركهم في المهم وفرحم، وكل ما يحدث لهم؛ فهم منا، ونحن منهم، ويُحسبون علينا ونحسب عليهم؛ فقد يكون أخي أو أختى أو أبي أو أمي أو عمي أو ابنه أو خالي أو ابنه أو ابنته.. قريب من قرابتنا أو من أهلنا وعشيرتنا.. تذكيرًا لمسئوليتنا ستُسأل عنهم

وسيسألون عنا. لا يفرقنا شيء... إذا رُفع الأذان تسابقنا إلى الصف الأول بالمسجد، إذا تحدثت عن بر الوالدين، وصلة الرحم، وصيام النوافل، والصدقة فقد يسبقنا، وكذلك كفالة اليتم، وقد يقاطع المنتجات الغربية، ويخرج متظاهرًا ضد حرق المصحف الشريف، أو سبّ النبي صلى الله عليه وسلم، ويبح صوته، ويبكي بالدموع.. كل هذا - وأقسم غير حانث- .. يفعله، وبلا اختلاف عن بقية الناس الذين يفعلونه .. وتعالى معي.. لأخبرك بعد هذا التشابه الكامل بيننا في الصورة وبين الكارثة الفارقة بينه وبين أفراد مجتمعه .

الأغلفة الاجتماعية والمزورون: (دراسة اجتماعية)

لستُ من علماء الاجتماع مع أني أملك إحساسًا دائمًا بارتباط وجداني بهم وبفنهم، ولست ممن يتقنون أصوله وقواعده، ولا يحفظون نظرياته.. غير أني مررت بحكم دراستي على بعض كتبه، كعلم الاجتماع الريفي، وعشت في مجتمع اشتمل على صور ممثلة لصنوف البشر في مجتمعنا العام، لذا سأسمح لنفسي رغم أني لست عضوًا بارزًا في المجتمع، ولكني أتمتع بهذا الحق.. حق الكلام في توصيف ما يحدث حولي في المجتمع، معتذرًا للفن إن خالفت أصوله أو اصطدمت ونظرياته .. آملاً أن يغفر لي هذا الاعتداء المتعمد لكني لم أقصد الإساءة أو تبريرها.. و أول تعدٍّ هو أني سأقدم على تعريف الأغلفة بغير ما في قاموس علم الاجتماع، وهي كل شيء يُصنع ليحتوي ما لا يرى بداخله؛ ليعطي صورة مغايرة لحقيقته من الخارج غير الداخل، أو الظاهر غير الباطن. وهذا المعنى فيه شيء من التبسيط. فتقول: غلف كلامه أي أظهر غير ما يريد من كلام يبطنه وغلّف الشي بطّنه وأخفاه..

الغلاف الاجتماعي:

هي تلك الهالة الذي يصنعها الشخص لنفسه، متكلفًا إياها بمساعدة كاملة من مجتمعه؛ ليظهر بينهم بصورة مغايرة ومغلفة على غير طبيعته وحقيقته، فمثلاً يظهرون الوجاهة لشخص حقير لا يحمل مؤهلات ذلك غير نفوذه أو سلطة فاسدة اشترى بها هذا الغلاف أو المجتمع الذي يصنعه له.. ويشهدوا له بالصلاح حيثما نضجت (ذبيبة) جبهته، وتضخمت لتأخذ من وجهه معلنة عن نفسها في كل معركة كأحد أشد الأغلفة وأمضاها أثرًا في مجتمعنا العاطفي الظالم، وانظر حولك ترى أصفارًا في صورة أناس، ليسوا في العير ولا النفير ولا يعدون إلا عند ذكر النسمة لبسوا ثوب الوجاهة والصلاح بمال أو نفوذ ودون وجه حق، وليظفروا بحقوق غيرهم وينحوا الأولى والأفضل، عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «.. فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أمينًا، حتى يقال للرجل: ما أَجْلَدَهُ! ما أَظْرَفَهُ! ما أَعْقَلَهُ! وما في قلبه حبة خَرْدَلٍ من إيمان» [متفق عليه].

ومن أهم سماتهم أنهم يظهرون فجأة؛ حيث تاريخ صدور الغلاف بحقهم، فمتى يوضع تاريخ انتهاء لصلاحية غلافهم؟!!

وبتكرار أفراد المجتمع (اللي هو احنا) المداومة على وضع مثبتات (دهان) هذا الغلاف، وأهم هذه المثبتات نداؤهم بأحب الأسماء إليهم، وإفساح المجلس لهم بين العامة، وبدؤهم بالسلام، والهشّ والبشّ في وجوههم، وافتعال روايات عن محاسنهم، وتزوير القول والفعل

لهم، وصنع تاريخ زائف عن نسلهم الطاهر وعراقة نسبهم وسلسالهم النجيب، وإشاعة جو من القبول الاجتماع المفتعل حولهم، ويستمر هذا المسلسل ليتم تثبيت هذه الصورة في باطن وعي المجتمع خلسة، وفي إحدى غفواته المتصلة، وهو ما تقدر ان تختبره بانه إذا خرج أحد ليفضح امره؛ صده الناس وعضوه.. واتهموه بانه يعتدي على الشرفاء ويزيف الحقائق ورموه بما رموه..

(غلاف الطيبة):

هو هذا الغلاف الذي يبيعه المجتمع لزبائنه، ولكن هذا يدفع الثمن البائع (المجتمع) من قوته وحياته وعمره يمر عبيد (الشخصية التخيلية للمزور) بين الناس بوجه طيب ويشوش، يحن على المسكين والأرملة، ويبالغ في الاهتمام بهم والإحسان إليهم في صورة احتفالية وموسمية ومصورة ومارشفة في اليومه الذي يبرزه إذا أراد التحدث عن خيره الذي يسوقه إلى الناس بمناسبة وبلا مناسبة.. ويظهر في جميع الشعائر بين الصفوف الأولى وفي مواسمها يرتدي الثياب المطلوبة لها، يكبر وتخهر في العيدين، وفي الحج قد صوّره مهللاً بملابس الإحرام، وبكل جسارة قد صوروه وهو يقذف إبليس بالحجارة..

فلما وصل إلى أرض الوطن بسلامة الله وجد الغلاف، وقد تم تشطيبه وحضر لتسلمه، ففي اول تهنئة بالغلاف قد أصبح الحاج بدلاً من لقبه القديم، وأصبح الحاج راح، الحاج وصل، الحاج حضر، وما ادراك ما الحاج.. الحاج ظلم الحاج قتل.. الحاج شرد.. الحاج قتل.. !!

وهذه هي الحقيقة لكن.. من يصدق ذلك؛ فقد أعمى الناس الظلم والغلاف أعين الجميع عن الحقيقة فهم من صنعوه.. وهم من رزؤه وهو أكبر دليل على أن الناس ليسوا بمغفلين ولا بحمقى، ولكن برضاهم وعن طيب خاطر.. وهو الأخطر..

(غلاف الستر):

وغلاف الطيبة يعبر عنه أن الناس ألفوه وتوارثوه حتى أصبح في الفعل اللاإرادي الذي تعودوا على ادائه وبلا مقابل، وبما أنه غلاف لا إرادي الفعل، فلم يُسن له قانون، ولم يوضع له حد، فهو من الأمور التي تربى عليها المجتمع، ولن يصحح إلا بتربية المجتمع على انه جُرم، وتعريفه كأحد كبائر الذنوب، وأفتكها بالمجتمع، وأمضاها أثرًا في تدمير نسيجه وتماسكه.. لكن غلاف الستر يختلف عن الطيبة، فهو إثبات شيء من الصفات المحمودة لأشخاص ليسوا كذلك، وإشاعة ذلك بين أفراد المجتمع لإثبات هذا المغصوب عنوة عن المجتمع، وليثبت ذلك في وعي المجتمع؛ بحيث لا يشعر، ومع تراكم الأيام وتوالي السنين يصبح جزءًا من الواقع تخب التسليم به، والعيش معه، دونما اعتراض أو انتقاد..

ولا يتم له ذلك إلا بهذا الغلاف: غلاف الستر.

ليمنع موجات التقلب ضد هذا الزيف وذلك الكذب، ويصد أي محاولة من محاولات كشفة وفضحه.. وذلك بأن يتسابق أفراد المجتمع في التورط في شهادة زور، ويقولون: ما سمعنا إلا انه رجل طيب وصالح، ويعددون فِعَاله الطيبة، ويُخْفُون أصله وفعله القديم الذي بنى عليه هذا المجد الجديد، والصورة المزيفة؛ فلا يذكرون تجارته المشبوهة وخطواته المزيفة لتحقيق

ما هو فيه، ولا ما وصل عليه عبر أكتاف الشرفاء الذين تسلقهم، ولا ضحايا إجرامه وظلمه الذين ما زالت تنزف دماؤهم، وما اندملت بعدُ جراحهم.. ويشددون ويحاربون من أجل استمرار يده التي باتت في فمهم.. وقد قالوا «اطعم الفم تستحي العين»، لكنها ما استحت وصمتت، لكنها بالزيف تكلمت وبالأغلفة تبرعت...

المزورون صناعة مجتمعهم:

وهنا أقرر حقيقة ونظرية أظنها ليست جديدة.. وهي أن الأغلفة الاجتماعية التي يمنحها المجتمع مجانًا للمزورين هي التي تصنع الشخصية المجرمة في حق نفسها ومجتمعها، والتي تجرم في حق مجتمعنا بتزوير إرادته، وتسليم مفاتيح بلده لظالمه والفاتك به على طبق من ذهب، ليظل يأكل طعامهم ولا يرعى لهم حقًّا؛ فهم من صنعوا له هذا الدرع وهذا الغلاف الذي يحميه، من أن يروا فيه وجه سافك دمهم، ومجوعهم، ومعطشهم، ومدمر أبنائهم، ومعكّر نيلهم، وناهب أموالهم، وسارق ثرواتهم، وممكّن رقابهم وظهورهم لجلاديهم، ومسلّم بلادهم ومقدراتها لأعدائهم، وكيف يردعه المجتمع وقد جعلوه ذا جاه وسلطة ونفوذ؛ بما ألبسوه من ثوب الوجاهة والمقام بينهم، وقد زوّجوه وتزوجوا منه، وأكلوا طعامه واستفادوا منه، وصار بينه وبينهم صلة ونسبًا ومصاهرة وودًا.. فأنى لهم أن ينفذوا وصية أمير المؤمنين ويسوّدا وجهه ليعرفه الناس ويفتضح أمره بتزويره وكبيرته..

اليأس موت..

لا أهدف إلى دغدغة عواطف جماهير المغلوبين، ولا أستهداف ما تبقى من لحمهم الذي اقتات به هؤلاء الذين لا تخف حبر اقلامهم في التغذي على دمهم ولحومهم..

بتزوير وتزييف القول: بأن اليأس أصبح فرض الوقت مع هذه النتائج التي آلت إليها الأمور، مدعين أن ذلك هو التسليم والإذعان لله ليصلح هو الأمور {تلك إذًا قسمة ضيزى}، إنهم يبدّلون الحقائق ويسيرون عكس السنن الربانية، كيف يستسلم المرء لعدوه وللباطل والفساد ويدعي أنه يسلم أمره لله؟!! إنه هدف استراتيجي للفساد، في محاولاته المستميتة للقضاء على ما تبقى من حياة في ضمير الأمة؛ ليستسلم المصلحون، ويرفعوا راية بيضاء يلطخها الظلم بدماء باردة جديدة من ضحايا يضافون إلى صفوف المجاهدين المضحين في سبيل سعادة الناس في الدارين.

والمبشّر أن هذه المحاولات دائمًا ما تبوأ بالفشل ؛ لأن الأمة المؤمنة بربها وبحقها في أن تعيش الحياة الكريمة التي أقرها الله تعالى لها؛ لن تستسلم، وإن مرض أبناؤها، وضعف بعضهم؛ فمازال في العمر متسعًا، وبعد الظلام نرقب فجرًا جديدًا.. فلا ينبغي علينا أن نيأس؛ لنحصد جزاء الظالم وأعوانه والراضي به المستسلم له، وكفى بتلك العقوبات بلاءًا يحل بنا..

فواجبنا اليوم بوضوح شديد، الذي يفرضه الشرع والواقع، هو أن ننقذ ما تبقى من هذا الإنسان الذي بدّده وهدمه الظلم، ودمّر واقعه وصادر مستقبله، هذا الإنسان الذي ركب مركب

اليأس، ويحيى الآن آخر أيامه وهو في ريعان شبابه.. أن ننقذه بكلمة حق، وفقط كلمة حق نعلنها ونحميها..

ولعل هذه الرسالة تصل الى المزور فيقرأها ويعيها {وتعيها أذن واعية} فيفتح الله لها قلوبًا غلفًا وآذانًا صمًا، ويغيرنا؛ فنغيِّر ما نحن فيه بإذنه تعالى فـ{إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}، ولعل الناس تعي أن هدف الدين الرئيس وأهم مهامه: حفظ الدين، وإقامة احكامه التي من أهمها: إقامة العدل بين الناس، وتحريم التزاوج بين السلطة الطاغية ورأس المال المتغول المتوحش .

و أذكر بواجب كل واحد منا في هذا المجتمع الذي نعيش فيه جميعًا في مركب واحد، ونرى ما لحق به من ظلم وانهيار، وهو أن نسعى بكل ما نملك للقيام بدفع الظلم عن أنفسنا ومجتمعنا؛ فإنه لا تتحقق الحرية والإصلاح السياسي دون مدافعة هذه الأخلاق المبدلة التي سادت بيننا، فترانا ندعي الصلاح والإصلاح، وإذ بنا نهدم ونفسد، يرى كل واحد منا حوله في مجتمعه من يحافظ على الصلوات والزكوات وأوامر الله تبارك وتعالى وحقوقه التي أمره بها بشكل أو بآخر، ولكنه في المقابل لا يتورع عن انتهاك حقوق غيره من الخلائق، وهنا الطامة الأخلاقية الكبرى التي بُلِي بها مجتمعنا..

ولعل ما أجملت فى الرسالة من روادع لهذه الجريمة والخراب التى تخلفه بالمجتمع لعله ينصلح الحال .. ويقبل عند الله المقال .. واليه وحده المقصد والمآل ..

والحمد لله رب العالمين .وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

2010/ 19889

الترقيم الدولي I.S.B.N

977-17-9672-0

مطابع الأهرام ٦ أكتوبر - التجارية - مصر

